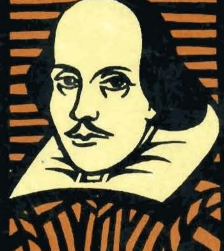
روائع شكسبير



ترجمة وتقديم: جبرا ابراهيم جبرا

مأساة

كريولانس

المؤسسة العربية للدراسات والنشر

مأســاة

كريولانس

المؤسسة العربية
للدراسات والنشر

بناية برج الكارلتون ـ ساقية الجنزير ـ ت ٨٠٧٩٠٠/١
برقياً موكيالي بيروت ـ ص. ب : ١١/٥٤٦٠ بيروت

الطبعة الثانية
١٩٨١

وليم شكسبير

مأساة كريولانس

عرّبها وقدّم لها :
جبرا ابراهيم جبرا

المؤسّسة العربيّة
للدراسات والنشر
بناية برج الكارلتون - ساقية الجنزير - ت ١/ ٨٠٧٩٠٠
برقياً - موكيالي - بيروت - ص.ب : ١١/٥٤٦٠ بيروت

مقـــدمـــة

« كريولانس » : تاريخها ومصدرها

في عام ١٦٢٣ ، أي بعد وفاة شكسبير بسبع سنوات ، نشرت المجموعة الكاملة (باستثناء « بركليس ») لمسرحياته في كتاب من القطع الكبير يعرف بـ « الفوليو » Folio ، وهو الذي حفظ لنا نصوص ما لا يقل عن ست عشرة مسرحية لم تكن نشرت قط من قبل ، وثلاث أخرى كانت نشرت في طبعات « مسروقة » مشوهة ، كما أعيد فيه نشر اثنتي عشرة مسرحية أخرى كانت قد نشرت بشكل أو آخر ابّان حياة شكسبير .

في هذا الفوليو ظهرت مسرحية « كريولانس » لأول مرة . ويبدو أن طبعها قد تم يومئذ منقولاً عن نسخة كتبت باليد تنقصها الدقة وتكاد لا تقرأ في اماكن كثيرة منها . فجاء النص مليئاً بالأخطاء التي جابهت الباحثين الشكسبيريين فيما بعد بمصاعب جمّة ، ما زال بعضها قائماً حتى اليوم .

في هذا الفوليو ، الذي هو المرجع الأول في دراسة النصوص الشكسبيرية ، لم ترتّب المسرحيات وفق تواريخها . وقد كان من مَهامّ الباحثين منذ ذلك اليوم تعيين تاريخ كتابة كل مسرحية ، لمعرفة مكانها من نموّ فن شكسبير وتطوّر نظرته الى الحياة . وقد استعانوا على ذلك بوسائل بحث كثيرة ، استطاعوا بها في النهاية أن يحددوا تسلسل المسرحيات الزمني ، ويسّروا لنا أن نرى كيف تطور شكسبير من الكوميديات الى التاريخيات ، ومنها الى المآسي ، وفي النهاية الى الرومانسيات التي تعبّر عن « المصالحة » التي تمت بين شاعرنا العظيم وبين الحياة . ووجدنا مثلاً ان « يوليوس قيصر » سبقت « هاملت » ، وأن « هاملت » سبقت « اوثلو » و « الملك لير » ، اللتين تلتهما « مكبث » ، ثم « تيمون الاثيني » ، و « انطوني وكليوبطرا» وأخيراً ، « كريولانس » . أي ان مسرحيتنا هذه تأتي في

أواخر « الفترة المأساوية » التي كان أمدها في حياة شكسبير حوالي عشر سنوات أو أكثر بقليل ، من ١٥٩٨ الى ١٦٠٨ ، كتب خلالها عدداً من أعظم المسرحيات التراجيدية في التاريخ منذ عهد سوفوكليس (كما كتب فيها أيضاً اثنتين أو ثلاثاً من أروع الكوميديات) . والمسرحيات الرومانية ، أي تلك التي استقى الشاعر ابطالها وأحداثها من التاريخ الروماني ، تكاد كلها (بأستثناء « تيطوس اندرونيكوس » التي هي من بواكير أعمال شكسبير) تنتمي الى هذه الفترة المأساوية الخصبة التي شغلت شكسبير بالتأمل في نواحي الحياة المظلمة ، حيث يتخذ الشرّ اقنعة كثيرة ، ويكون حافزاً رهيباً من حوافز الفعل الانساني ، والفعل التاريخي . ورغم ان « كريولانس » تنتمي في وقائعها الى القرن الخامس قبل الميلاد ، وتسبق بذلك زمن المسرحيات الرومانية الاخرى بأكثر من أربعمئة سنة ، فإنها جاءت ، من حيث كتابتها خاتمة لها جميعاً . اذ يكاد يكون بحكم اليقين انها كتبت في أواخر عام ١٦٠٨ .

في خلق هذه المسرحية وأشخاصها ، اعتمد شكسبير ، كما فعل في معظم مادته للروايات الرومانية ، اعتماداً كبيراً على كتاب ضخم عظيم الأهمّية ألفه المؤرخ اليوناني بلوتارك (أو « فلوطارخس ») الذي عاش في القرن الأول بعد الميلاد ، ودعاه « السِيَر المتوازية لنبلاء الاغريق والرومان » جعل فيه سير مشاهير الاغريق والرومان في ازواج متناظرة ، جاعلاً لكل اغريقي رومانياً مقابلاً له فيما فعل أو انجز ، ثم منتهياً الى « مقارنة » بينهما . والكتاب يحوي تراجم ثلاثة وعشرين « زوجاً » من رجال الأمتين ، كلهم من « صانعي التاريخ » ، شغلهم الشاغل شؤون الدولة والحكْم والحرب ، وكل ما لاقوه من نجاح أو منوا به من اخفاق يقع في اطار من الروعة أو الهول ، وله أثره في حياة الناس ومسيرة التاريخ .

في عـام ١٥٥٩ ترجم هذا الكتاب الى الفرنسية اسقف يدعى جاك آميو ، وما زالت ترجمته تعتبر من روائع النثر الفرنسي . وعن هذه الترجمة ، في عام ١٥٧٩ ، نقل السير توماس نورث الكتاب الى الانكليزية ، وشكسبير فتى في الخامسة عشرة من عمره . وقد كان للكتاب ، في هذه الترجمة ، مكانة عزيزة من نفس شكسبير ، اذ وجد أن كلّاً من السِيَر عالجها بلوتارك على نحو يتخطّى الطريقة التاريخية المألوفة ، التي غالباً ما تقتصر على ذكر الأحداث العامة والأعمال الكبار . كان بلوتارك يرى ان دراسة البشرية هي في دراسة الأفراد أنفسهم ، وأن الفرد لا يدرس في أنبل أعماله فحسب ، بل في الصغائر من حياته التي لها دلالاتها الكاشفة عن الشخصية والخلق . فتصبح حياة كل من هؤلاء العظام أشبه بدراما تاريخية تتجسّد فيها نواحي الشخصية المختلفة وتوتراتها . وهذا ، لا ريب ، مما فتن

شكسبير الدرامي ، وجعله يجد أنه في استقائه من بلوتارك حياة يوليوس قيصر ، وبروتس ، وانطوني وكليوبطرا ، وكريولانس ، وغيرهم ، انما يقوم بمهمّة سهّلها عليه المؤرخ الكبير بنظرته الدرامية الى أشخاصه جميعاً ومكانهم من حركة التاريخ .

غير أن شكسبير كانت له نظرته الخاصة الى النفس الانسانية وصلتها بالتاريخ . فمهما استقى من بلوتارك ، ويكاد أحياناً يستعمل جملاً مأخوذة بالنص من ترجمة توماس نورث ، ومهما تمسك بالخطوط العريضة للأحداث وحياة الأفراد ، فإنه يفرض على الشخصية سماتها النهائية من لدنه ، ويعطي للدوافع الفاعلة في حياة الأفراد الخاصة والعامة تأويله الشخصي . وفي المقدمة التالية* ايضاح لبعض هذه المزيّة الأساسية في فن شكسبير . فشاعرنا المسرحي لم يكن يرى التوازي العميق بين الحضارة اليونانية والحضارة الرومانية فحسب ، بل كان يراه أيضاً بين أحداث الماضي والأحداث المعاصرة له ، بين مدينة كروما في القرن الخامس ق . م . ، ومدينة كلندن في القرن السابع عشر ب . م . ويكاد يفسّر الواحدة بالأخرى ، ضمن حسّه المأساوي للتاريخ . ولم يكن هذا التوازي في مفهوم شكسبير ، ليقف عند ذلك الحدّ أو أي حد آخر من الزمن . انه يبلغ به ذلك المطلق الانساني الذي يتعدى صيغ الزمان والمكان ، فتصبح المأساة وصراعاتها ، رغم خصوصيتها الظاهرية ، أمثولة لكل زمان تنشأ فيه صراعات مثلها . وتصبح روما أية مدينة اخرى في العالم .

هنا يكمن السّر في روعة « كريولانس » ، وتصاعد الاهتمام بها في السنوات الأخيرة . لقد تبينّ أنها ، بعد اهمالها زمناً طويلاً ، مسرحية أخرى « معاصرة » ، كالكثير غيرها من مسرحيات شكسبير ـ لأنها وثيقة انسانية وسياسية ، تناقش تلك الصلة المعقّدة بين الحاكم والمحكوم ، ولا تحابي أحداً ، وتحمل في تضاعيفها جوهر الكثير من المشكلات والقضايا التي قد تجتاح اية مدينة في هذا العصر .

جبرا ابراهيم جبرا
بغـــداد

(*) من كتاب « شكسبير معاصرنا » ليان كوت.

« كريـولانـــس » أو تناقضات شكسبيرية

بقـــلم يان كوت

لقد استحققت من وطنك بنبل ،
ولم تستحق بنبل (. . .) كنت سوطاً
على أعدائه ، وعصا على اصدقائه .
أنت في الواقع ما احببت عامة الناس .
(«كريولانس » ٢ ، ٣)

من بين المسرحيات الشكسبيرية العظيمة كلها ، نجد ان « كريولانس » أقلها تمثيلاً على المسرح . فهذه المسرحية لم يكن لها إلا قلة من المعجبين والمتحمسين ، وان يكن ضمنهم افراد مثل كولردج ، وسوينبرن وبريشت(*) ، وليون شيلر . غير أن معظم الناس وجدوا انها تثبطهم أو تقززهم ، أو ـ على الأقل ـ تقصر عن تحريك اية عاطفة فيهم . ولم تكن المسرحية « ناجحة » في عهد شكسبير ، ولا في القرون الثلاثة اللاحقة ولا هي كذلك اليوم(**) ولقد سماها البعض مأساة قاحلة ، أو مونودراما . فليس في « كريولانس » شعر ساحر ، ولا موسيقى سماوية ، لاعشاق رائعين فيها ، ولا مهرجين مبدعين . لا عناصر صاخبة ، ولا وحوش رهيبة هي من خلق الخيال ولكنها أصدق من التجربة نفسها . فليس هنا إلا سجل تاريخي ، أجرد ، جاف ، وإن يكن ممسرحاً بعنف . وهنا أيضاً بطل مضخم ، باستطاعته ان يثير المشاعر بأنواعها ، فيما عدا العطف . فهو يعجز عن اثارته في أحد .

(*) كان بريشت قبل موته يعد اخراجاً لمسرحية « كريولانس » ولنسخة مقتبسة عنها . وقد كان فهمه لها تعليمياً ومناقضاً لفهمها التقليدي ، اذ رأى فيها دراما للشعب يخونه فيها قائده الفاشي . وقد تم اخراجها مؤخراً على مسرحه في برلين .

(**) جعلت المسرحية تثير اهتمام النقاد في السنوات الأخيرة ، وأعيد تمثيلها على المسرح من جديد في مدن كثيرة وبنجاح كبير .

ـ المترجم ـ

غير أن « كريولانس » ليست في الواقع مونودراما . فالمأساة فيها بطلان ، وإن يكن لأحدهما رؤوس كثيرة وأسماء كثيرة . لن أصفه الآن ، بل أود أن استهل بالتأكيد على ان كريولانس لا يترك أبداً وحده ، على الأقل بالمعنى الفيزيائي والدرامي . ففي خمسة وعشرين مشهداً من المسرحية ، من تسعة وعشرين ، نرى الجماهير حاضرة . هناك اثنا عشر مشهداً في شوارع روما ، والمنتدى ، والكابيتول . ومشهدان في كريولي . وعشرة في ميادين القتال والمعسكرات . والجمهور يكاد يكون دوئما اسم : مواطن أول ، مواطن ثانٍ، مواطن ثالث. شيخ أول، شيخ ثانٍ. حارس أول، حارس ثانٍ. ضابط أول، ضابط ثانٍ. متآمر أول، متآمر ثانٍ. وشخصيات القادة السياسيين أو العسكريين لا ترسم إلا بخطوط عريضة. فهم يبرزون من الجمهور ثم يضيعون فيه ثانية. وهناك أيضاً أم كريولانس، وزوجته وابنه. ولكن حتى هؤلاء لا حياة لهم خاصة بهم، وإنما هم بمثابة خلفية للمواقف التي تتطور فيها المأساة.

لا ريب ان جفاف « كريولانس » كان له أثر مثبط في انفس القراء والمشاهدين . فالمسرحية ، والحق يقال ، قاسية وجهمة . بيد ان جهامة المادة الدرامية لا تعطينا تفسيراً كافياً لهذا الاعراض الذي لقيه طيلة هذه المدة من معظم الناس عمل من أعمق أعمال شكسبير . أسباب هذا الاعراض ، فيما أرى ، يجب البحث عنها في مكان آخر . فهو ناجم عن غموض المسرحية ـ غموضها السياسي ، والاخلاقي ، وفي النهاية ، الفلسفي . لقد كان غموضاً يصعب هضمه .

لم يكن بوسع « كريولانس » كما كتبها شكسبير ، ان تحظى بتمام الرضا من الارستقراطيين ، ولا من الجمهوريين ، لا من أصدقاء الشعب ، ولا من اعدائه ، بل ان المسرحية ازعجت أولئك الذين يؤمنون بالجماهير ، وأولئك الذين يزدرونها ، على حد سواء : أولئك الذين أدركوا غاية التاريخ وتعاليمه ، وأولئك الذين ضحكوا منه ، أولئك الذين رأوا البشرية كتلة من الديدان ، وأولئك الذين لم يروا إلا ديداناً فردية مستوحدة تعاني مأساة الوجود . فالمسرحية لم تنسجم مع أية فكرة تاريخية وفلسفية سائدة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر .

لم يكن بوسع « كريولانس » ان تسر الكلاسيكيين ولا الرومانسيين . فالسابقون وجدوها غير متماسكة ، سوقية وفظة . واللاحقون وجدوها مغالية في المرارة ، والتسطح ، والجفاف . وهنا تكررت قضية « طرويلس وكريسيدا » ، فهذه مسرحية شكسبيرية اخرى لم تفهم ، مسرحية جوهرها الفلسفي ، شديد الشبه بـ « كريولانس » ، رغم الفروق الظاهرية . في المسرحيتين نرى الافكار تناقض الممارسة بعنف وسخرية . غير ان هذا لا

ينتهي بنا الى الاعتراف بأن الممارسة هي المقياس الوحيد والنهائي للقيمة .

ليست « كريولانس » مونودراما ، أو مأساة حول موضوع قديم ، إلا في الظاهر . لا ريب ان بالامكان دراسة المسرحية بمصطلحات « المدينة » (أو دويلة المدينة) و « البطل » ، و « القدر » . البطل يخرق القانون الاخلاقي ، فتتهدد المدينة بالدمار . على البطل ان يختار إما حياته أو المدينة . فيختار الموت . تنقذ المدينة فتقيم هيكلاً لإلهة القدرة . روما هي المدينة ، وكريولانس هو البطل . إلا ان القدر كما يتخيله شكسبير ، رغم انه يلاحق البطل ويحصره ويحطمه ، على غرار آلهة الانتقام الاغريقية ، له وجه معاصر . القدر يمثله هنا الصراع الطبقي . فلئن تكن روما دويلة ، فهي أيضاً تتألف من العوام والأشراف .

تقع احداث المسرحية بعد طرد الملوك في تلك الفترة شبه الاسطورية التي عرفتها جمهورية روما في القدم . والقصة يرويها بإيجاز المؤرخ الروماني ليفي ، ويسردها بالتفصيل المؤرخ اليوناني بلوتارك في كتابه « سِير نبلاء الاغريق والرومان » . وقد نشرت الترجمة الانكليزية التي قام بها السير توماس نورث عام ١٥٧٩ . ومن هذه الترجمة استقى شكسبير العقدة ، والشخصيات ، ومجمل الاحداث .

> روما في حرب مع الأقوام المجاورة . وفي المدينة نفسها يجري صراع الفقراء ضد الاغنياء. هذا ما يقوله بلوتارك : « انحاز مجلس الشيوخ للاغنياء ضد الشعب ، والشعب يشكو اضطهاداً اليماً من المرابين الذين كان يستدين منهم المال . فالذين لم يملكوا إلا القليل ، سلبهم ذلك القليل دائنوهم ، لعجزهم عن دفع الربا ، فعرضوا عليهم بيع سلعهم لمن يدفع أكبر ثمن . والذين لم يبق لديهم ما يملكونه ، استولوا على ابدانهم وجعلوهم ارقاء لهم . . لم يأبه لهم مجلس الشيوخ ، وبدا وكأنه قد نسي وعوده السابقة ، وسمح بأن يجعلوا عبيداً وأرقاء لدائنيهم ، وبأن يجردوا ، الى ذلك ، من كل ما كان لهم . فراحوا عندئذٍ يتمردون ويعصون ، ويثيرون شغباً خطيراً في المدينة » .

لقد أثرى الاشراف من الحروب ، وكسبوا الأراضي والعبيد ، ولكنهم عاجزون عن الاستمرار بالحرب دون العوام . والعوام قد اكتسبوا حق انتخاب ممثليهم المدافعين عن حقوقهم ، وكذلك حق المشاركة في الحكم . وكان كايوس مارسيوس ـ ذو النسب العريق ـ من أشجع الرومان وقد سمي كريولانس بعد ان استولى على مدينة كوريولي من أهلها الجبليين المعروفين باسم « الفولسيين » . لقد أدى خدمات جلى لروما . انه قائد عظيم ،

ويحمل جسمه سبعاً وعشرين ندبة من جروح الحقها به العدو . يرشح الاشراف كريولانس لمنصب « القنصل » ، ولا بد من موافقة الشعب على الترشيح . إلا ان كريولانس ارستقراطي يكره الشعب ، والشعب يكرهه . وثمة مجاعة في روما . وكريولانس يعترض على توزيع الحبوب ، إلا اذا تخلى العوام عن حقهم في انتخاب ممثليهم . فيرفض الشعب الساخط الموافقة على تعيين كريولانس قنصلاً . ويتهمه الممثلون بالتآمر على الجمهورية ، وعلى كريولانس ان يواجه المحاكمة .

ويرغم الشعب الاشراف على نفي كريولانس من روما الى الأبد . وهنا يحلم كريولانس بالانتقام . فيذهب الى الفولسيين ، ويقترح على الذين كانوا بالامس اعداءه القيام بحملة عسكرية على روما . ويتقلد منصب القيادة بنفسه .

هذا هو الفصل الأول من حكاية كريولانس الرومانية . وفيها مغزى جمهوري . زعيم يحتقر الشعب ، ويخون الوطن ، ويلتحق بالعدو . فالقائد الطموح الذي يستهدف السلطة الديكتاتورية رجل شديد الخطر على الجمهورية . فالشعب محق في نفي كريولانس . ولكن الآن يبدأ الفصل الثاني . كريولانس يرأس جيشاً فولسياً ، ويقترب من أبواب روما . والمدينة ينقصها الزعيم العسكري ولا تملك دفاعاً عن نفسها ، وقد حكم عليها بالدمار . والاشراف والعوام يتهم بعضهم بعضاً بطرد كريولانس من المدينة . يحاولون استرضاءه ، ويلتمسون رحمته . عبثاً . ومن ثم يرسل الرومان زوجة كريولانس وأمه كمبعوثين اليه . ويوافق كريولانس على عقد الصلح ، ويتراجع بجيش العدو من ابواب روما .

للقصة خاتمتان . الأولى ، التي يرويها ليفي ، عاطفية ومثالية : الرومان اعترافاً بالجميل، يقيمون هيكلاً تمجيداً لزوجة كريولانس وأمه، بينما هو يعود الى الفولسيين ويموت بسلام بعد عمر طويل . أما الخاتمة الثانية ، فأشد درامية : كريولانس يعلم أنه بتراجعه من روما قد حكم على نفسه بالموت . فخرقه ميثاقه مع الفولسيين انما هو خيانة ثانية . ويقتلونه كخائن .

الخاتمة الثانية هي التي يرويها بلوتارك . غير أن مؤلف « السير » يبدو انه لا يعي ان تاريخ كريولانس يحتوي على مغزيين ، يناقض احدهما الآخر . والمغزى المستمد من الفصل الثاني مر شديد المرارة . فالمدينة التي تنفي زعيمها تفقد حصانتها . والشعب لا يستطيع إلا الكره والطعن في هذا وذاك ، ولكنه عاجز عن الدفاع عن مدينته . والجماهير عنصر ، أعشى ومدمر كالنار أو الطوفان . فبين الجمهور الكثير الرؤوس العديم الاسماء ،

وحده كريولانس كان العظيم . ابدى له البلد العقوق ، ولم يستطع احتواءه . فقد كان حاكماً بالفطرة . والتاريخ قاسٍ ، ومليء بالشراك . العظماء يسقطون ، والصغار يبقون .

لم ير بلوتارك مأساة كريولانس ، ولا المأساة الضمنية في التاريخ . وفي كتابه « السير » وضع المثال الخلقي الاغريقي ازاء مثال الشجاعة (ڤيرتس) الروماني . اما المغزى الذي يستمده من سيرة حياة كريولانس ، كما يرويها هو، فهو سيكولوجي مبني على التجربة :

ان الذهن النادر الممتاز اذا لم يتثقف ، يأتي بكثير من الحسنات والسيئات معاً ، كالتربة الخصبة اذا بقيت من غير سماد اتت بالنبت والدغل . . لقد كان من سرعة الغضب ونفاد الصبر بحيث انه لا يخضع لمخلوق حي : مما جعله ضيق الصدر ، عديم الدماثة ، وغير صالح اجمالاً للحديث مع أحد . . كانوا يستاؤ ون لتصرفه بسبب طريقته التي تتصف بالقحة والصلافة ، فيكرهونها فيه لما فيها من عجرفة . والحق ان اعظم فوائد العلم للمرء هي هذه : انه يلقن كل من كان خشناً وفظ الطبع ـ باستعمال قياس العقل ـ ان يكون دمثاً ولطيفاً ، وأن يؤثر التواضع على التعالي .

هذا ما يقوله بلوتارك . وتاريخ كريولانس خبيث المذاق حقاً .ولكن شكسبير هو أول من استشف خبث المذاق هذا . لا بد انه اندهش له وتأثر به ، اذ جعله موضوعه الرئيسي في الدراما . ففي التاريخيات والمآسي ـ والأخيرة أشد تكثيفاً من السابقة ـ يظهر لنا شكسبير التاريخ الاقطاعي ، وبآليته الجرداء التي لا تتبدل ، في شكل مطلق . فالتاريخ يصنع في قمة السلم الاجتماعي . وهو شخصي ، ويستخدم الاسماء وان تكن قليلة . وأحياناً فقط يظهر أهل المدن الخائفون : انهم قد علموا بموت الملك ، أو بالحرب ، أو بانقلاب ما . ويرون في كل ملك يتغير نكبة من نكبات الطبيعة . التاريخ يجري من فوق رؤ وسهم ، ولكنهم هم الذين عليهم تحمل التبعة .

وقد كانت قصة اباطرة الرومان المثل المحتذى الميسر في تاريخ الاقطاع وكم كانت المقارنة بين قيصر وبروتس موضوعاً متواتراً للتفلسف الاخلاقي في عصر النهضة . وحفلت المأساة قبل شكسبير وفي عصر اليزابيث بحكايات الطغاة . وكثرت الاشارة الى كتابات تاكيتوس وسويتونيوس . وكانت التماثيل النصفية للقياصرة الاثني عشر تزين قصور الملوك المسيحيين كلهم . أما روما الجمهورية فكانت أبعد ما تكون عن متناول كتاب النهضة ، ويعرفونها معرفة أقل . والنظام المعاصر الوحيد الذي يضاهيها كان نظام جمهورية

البندقية ، ولكن حتى هذه كان يحكمها الـ « دوجي » والارستقراط . وكانت مشكلة السلطان المطلق تفتن أهل النهضة ـ هذه الآلة التي تحول الامير الصالح الى طاغية . فبالنسبة اليهم كان هذا امراً من امور الحياة اليومية ، كما كان أحد الموضوعات الشكسبيرية الكبرى . ولكنه لم يكن الموضوع الأوحد .

كان شكسبير في « يوليوس قيصر » و « كريولانس » أكبر تجديداً مما كان في « انطوني وكليوباترا » . ففي المسرحيتين السابقتين ادخل روما الجمهورية في عالم المأساة . وقد نظر اليها ولا ريب من خلال تجربة أواخر النهضة ، وبحث عما يؤكد له فلسفته التاريخية التي كانت قاسية ، مرة ، شديدة التشاؤم . بيد أن المادة التي استخدمها كانت مغايرة بعض الشيء ، ولم يكن بالوسع احتواؤها في ذلك المدار الذي لا يتغير ، حيث كان كل حكم يبدأ وينتهي بمأساة سقوط الحاكم . فكناية السلّم الفخم الذي يصعده كل حاكم بدوره ، ومنصة الاعدام درجته الأولى والاخيرة ، لم يعد بالامكان تطبيقها على هذه النظرة الى التاريخ .

ما زال كريولانس يحمل سيماء العظمة الجهمة ، ويسحقه التاريخ . غير ان التاريخ الذي يحطم كريولانس ليس الآن بالتاريخ الملكي . انه تاريخ مدينة انقسمت الى عوام وأشراف . انه تاريخ الصراع الطبقي . كان التاريخ في السير الملكية ، وفي مكبث ، آلة فخمة فيها مس من الجن . أما في مسرحية كريولانس ، فقد خلا التاريخ من مس الجن . انه مفارقة ومأساة . وهذا سبب آخر في أن « كريولانس » مسرحية ذات مغزى حديث .

ـ ٢ ـ

يستهل المشهد الأول من « كريولانس » بدخول العوام الثائرين . واذا الموضوع ، والصراع ، وابطال المسرحية ، تقدم كلها في البداية :

مواطن أول : كلكم مصممون على انكم تؤثرون الموت على التضور جوعاً ؟ .

مواطنون : مصممون ، مصممون !

مواطن أول : أولاً ، انتم تعلمون ان كايوس مارسيوس هو عدو الشعب الاول ؟ .

(١ ، ١)

هكذا تبدأ المسرحية . فشكسبير لا يضيع وقتاً . ان الموقف قد حدد . ثمة مجاعة في روما ، والعوام يطلبون تخفيضاً في أسعار القمح . وكايوس مارسيوس لا يوافق على ذلك .

فيصمم العوام على قتل مارسيوس . في الدقيقة الأولى نفسها تبدأ حركة المسرحية . وسرعان ما يحدد موضوع المسرحية . العوام يتصايحون على بعضهم البعض في فوضى ، ولكن نظرية مفصلة عن التقسيم الطبقي تتشكل فيما يقولون . وهي مبنية على تقابلات أولية ثلاثة : بعض الناس يشتغلون والآخرون يتغذون على شقائهم ، بعضهم فقراء ، والآخرون اغنياء ، بعضهم مكانهم في الاسفل وعليهم الطاعة ، وبعضهم مكانهم في الأعلى ويحكمون . هذا كله تحتويه هتافات الجمهور في المشهد الأول :

الهزال الذي يبتلينا ، مشهد بؤسنا هذا ، ليس إلا كشفاً بتفاصيل وفرهم . معاناتنا كسب لهم . . .

يجعلوننا نجوع وعنابرهم محشوة بالقمح . يصدرون المراسيم للربا ، ليدعموا المرابين . يلغون كل يوم أي قانون شرع ضد الاغنياء ، ويأتون كل يوم بالمزيد من الشرائع الجارحة ، لغل الفقراء وكبحهم . ان لم تلتهمنا الحروب ، التهمونا هم .

(١ ، ١)

هنا يدخل الشريف منيوس اغريبا . لقد ارسله مجلس الشيوخ لتهدئة المتمردين . ومنيوس يعترف بأن ثمة مجاعة ، بأن ثمة اغنياء وفقرا ء . والفقراء يتضورون جوعاً لا لأن الاغنياء لديهم اكثر مما ينبغي . والاشراف يعنون بالشعب . الفقر حكم الآلهة . هكذا نظمت الدنيا ، وما من أحد يستطيع تبديل النظام الازلي .

أما حاجاتكم ،

أما معاناتكم في القحط هذا ، فما رفعها

بوجه الدولة الرومانية إلا كرفعكم العصيّ ،

بوجه السماء . . .

. . . .

فالقحط من صنع الآلهة لا الاشراف ،

وثني الركب لها ، لا رفع السلاح ، هو الذي يفيدكم .

منيوس يتكلم شعراً ، أما العوام فنثراً . فالفوارق الطبقية لا بد من مراعاتها حتى عند ابطال شكسبير . غير أن هناك ما هو اكثر من مجرد فارق بين الشعر والنثر . ان منيوس يضع ازاء كناية العوام المكانية البسيطة « القمة ـ الحضيض » المبنية على الشعور بالاضطهاد الطبقي ، كناية تصور المجتمع ككيان عضوي كبير . ويروي للعوام القصة المشهورة عن ثورة أعضاء الجسم على المعدة . المعدة كناية عن مجلس الشيوخ الروماني ، واعضاء الجسم الثائرة تمثل العوام . وحكايته هذه يذكرها ليفي وبلوتارك كلاهما . غير أن شكسبير ، كدأبه ، يكثفها ويمسرحها . وحكاية منيوس انما هي ايضاً نظرية في التقسيم الطبقي ، كما يراها الاشراف . فالفصم العاتي الذي يراه العوام ، توضع ازاءه نظرية عضوية وظيفية. وكلتا النظريتين يتناولهما شكسبير ضمن تأثيرهما الطبقي. انهما تهيئان وسيلة لاثارة الشغب، ولتبرير الفعل، في آن معاً. وهذا بالضبط فعلهما في التاريخ. : : :

لقد كان لحجج اغريبا تواتر سياسي واكاديمي طويل . فكررها ثيودوريتوس في القرن الاول للميلاد (« يساهم السادة في هموم خدمهم ولكن الخدم لا يساهمون في هموم سادتهم ») ، كما كررها المزارعون الامريكيون الكبار في عهد فرانكلين روزفلت («علينا أن نعنى بتزويد القمح ، وتمويل الايجار وما أشبه ، بينما يتوقع عامل المزرعة الأسود ان نزوده نحن بضرورياته ، ولا يتحمل أي هم ما دمنا نقوم نحن بأوده ») . وفكرة منيوس عن التكامل الطبقي اعلنها الفيزيوقراطيون (كيان كامل يتألف من اجزاء متباينة ، ضروري بعضها لبعض .) ، كما أعلنتها المناشير البابوية في القرن التاسع عشر . وطورها سبنسر ودوركهايم الى نهج لعلم الاجتماع . أما شكسبير فاحتاج الى خمس دقائق فقط ليقدم هذه النظرية .

ولم ينته بعد المشهد الاول من « كريولانس » . ما يكاد منيوس يفرغ من سرد حكايته حتى يظهر كايوس مارسيوس . ويبدأ بتحقير العوام من أول جملة يفوه بها :

. . . ما الأمر ، أيها الأوغاد المتنابزون ،
تمعنون في حك سفيه آرائكم ،
فتصيبون انفسكم بالجرب ؟

(١ ، ١)

ان اغريبا « ايديولوج »(*) الاشراف ، بالمعنى الذي يعطيه ماركس ازدراء لهذه الكلمة ، فهو صاحب مناورة وفيلسوف انتهازية . أما مارسيوس فليس بأيديولوجي ، ويرفض كل مناورة . انه يقبل التمييز الطبقي الذي يبدو في الظاهر منسجماً مع فكرة العوام : التقسيم العمودي بين أعلى وأسفل متعاديين ، يبغض أحدهما الآخر أشد البغضاء ـ هذا ما يقوله للشيوخ :

. . . انتم الدهماء .

ان كانوا هم الشيوخ ، وماهم بأقل من ذلك

اذ تتمازج أصواتكم بأصواتهم فتجدون ان الطعم الطاغي

هو مذاقهم . انهم يختارون قاضيهم ،

وهذا هو رجل كهذا ، يجابه بأمره ،

بأمره الشعبي ، جمعاً من شيوخ .

لم يعبس مثلهم شيوخ في اليونان .

(٣ ، ١)

فمارسيوس يقبل ضدين من الأضداد الكلاسيكية في نظرية العوام : الاغنياء ـ الفقراء ، الحاكمون ـ المحكومون . ولكنه الى هذين الاثنين ، يضيف اثنين آخرين : النبلاء ـ الوضعاء ، العقلاء ـ الحمقى . الشعب بالنسبة اليه كالحيوانات التي يعض بعضها بعضاً ، شديد الكراهية ، ولا يتذكر اليوم ما كان يريده بالامس :

. . . ما الذي تريدون أيها الاجراء ،

يا من لا السلم تحبون ولا الحرب ؟ هذه ترعبكم ،

وتلك تملؤكم عجرفة . .

. . . .

. . . من يكن أهلاً للعظمة .

(*) أي الناطق بأيديولوجية معينة ، والمدافع عنها مع مناورة وانتهازية .

يكن أهلاً لكرهكم . . .

. . . .

. . . أثقةً بكم ، قاتلتكم الآلهة ؟

تغيرون رأيكم كل دقيقة ،

فتدعون نبيلاً ذاك الذي كان الآن موضع كرهكم . . .

. . . .

. . . رحتم في أماكن مختلفة من المدينة .

ترفعون عقيرتكم ضد الشيوخ الأفاضل ، وهم الذين ،

بعد الآلهة ، فرضوا الخوف عليكم ،

وإلاّ لأكلتم بعضكم بعضاً . . .

(١ ، ١)

في بلوتارك أيضاً نجد ان مارسيوس يمقت الشعب ، والسبب الأكبر هو انه رجل تأكله كبرياؤه ، معتكف لا يعرف كيف يعامل الناس . وبلوتارك يتعاطف مع حجج اغريبا العملية . في حين ان شكسبير يهزأ من اغريبا ، جاعلاً إياه في أحسن الأحوال في دور كدور بولونيوس في « هاملت » . من أول مشهد الى آخر مشهد في المأساة نجد ان الصراع هو بين كريولانس والشعب . وكما في مسرحيات شكسبير العظيمة كلها ، انه صراع حول فكرة الانسان عن التاريخ وقيمته الخلقية : انه اختلاف في الرأي حول ماهية تنظيم العالم . كريولانس ، كما يراه شكسبير ، متكبر جامح ايضاً . غير ان افعاله لا تنجم (أو أنها ـ على أي حال ـ لا تنجم كلها) عن صدوع في خلقه ، أو عن « نقص في العلم » ، كما يزعم مؤرخنا الفاضل بلوتارك . ان مأساة كريولانس الذي أوجده شكسبير ، لا يمكن تحديدها ، أو احتواؤها ، بمصطلحات سيكولوجية . ولا هي بمأساة شخصية عظيمة اصطدمت بالجماهير ، كما يذهب غالبية المعلقين . لا جماهير في « كريولانس » انما هناك الاشراف والعوام ، لا غير .

كريولانس يقبل الفروق الطبقية ، كما يراها العوام ، ولكن من السهل ان نرى انه يغير من طبيعتها ويحولها الى اصناف من القيم . العوام لا يدعون انفسهم نبلاء ، ولا

يدعون الاشراف اشراراً . كل ما يعرفونه هو انهم جائعون ، لأن الآخرين شبعون . اغريبا يرفض وجود الجائعين والشبعين ، لأن المرء لا يستطيع القول بأن الأيدي جائعة اذا كانت المعدة ملأى . أما كريولانس فيقبل التقسيم الى جائعين وشبعين ، ولكنه اذ يفعل ذلك لا يقول إنها مشيئة الآلهة . فلا هو يؤمن بالآلهة ، ولا هو يجد بنفسه حاجة لها . انه يعتبر الشعب حيوانات ، اذا أكلت وشبعت ، توقحت وهاجمت الناس . المدينة ستلتهمها الجرذان :

... هكذا نحن نحط
من شأن مناصبنا ، ونجعل الرعاع
يدعون همومنا مخاوف . وهذا مع الزمن
سيكسر اقفال مجلس الشيوخ لتدخله
الغربان وتنقر النسور .

(٣ ، ١)

ثلاث نظريات في التقسيم الطبقي قدمت وبحثت مفصلاً ، حتى نتائجها النهائية . كل منها تحوي عرضاً للواقع الاجتماعي ، ونظاماً من القيم . كل منها تعني نظرة للعالم مغايرة ، وتعطي تقويماً مغايراً ، وجواباً مختلفاً عن سؤالين اساسيين : كيف نظم العالم وكيف يجب ان ينظم ؟ من السهل ايجاد كلمات تعميمية لتحديد هذه النظم : المساواة ، التضامن ، النظام المراتبي ، ومسرحية « كريولانس » تقدم لنا مجابهة عاتية ، خالية من كل وعظ ، بين هذه النظم الثلاثة . وكما عودنا شكسبير في كتاباته ، ثمة تنظيم رائع للمرايا ، تعكس الشعب في عيني كريولانس ، وكريولانس والاشراف في عيون الشعب . والمرآة الأخيرة يهيئها التاريخ . فالتاريخ في الدراما يهيىء مسار الفعل ، والصلات المتداخلة بين الأحداث ونتائجها النهائية . والتاريخ بوسعه أن يؤيد نظم القيم ، أو يسخر منها ، أو يحطمها . فاذا سخر أو حطم ، كان غروتسكياً ، أو مأساوياً . أو ربما كان كليهما معاً .

- ٣ -

المجابهة الأولى تهيئها الحرب . يهاجم الفولسيون روما . والعوام عاجزون . ويتبدل الموقف في طرفة عين . يتسلم الجنرالات السلطة ، وينسحب المتمردون . ويبدو كأن حجج اغريبا وحكايته قد ثبتت صحتها . وينتصر كايوس مارسيوس :

لدى الفولسيين قمح كثير . خذوا هذه الجرذان اليهم
لتعيث في أهرائهم .

ويصل الرومان الى كريولي . يصد أهل المدينة الهجمة الأولى ويهرب الجنود . ويقذف مارسيوس بالشتائم على الفارين ، ويدعو الشجعان اليه ، ويعيد الهجوم . ويلحق بالفولسيين حتى ابواب المدينة ، ثم يدخلها بمفرده .

جندي أول : حماقة صرف . لا عليَّ .

جندي ثانٍ : ولا عليَّ .

جندي أول : أترون ، لقد أغلقوا عليه الأبواب .

جندي ثانٍ : الى حيث نهايته ، ولا ريب .

(١ ، ٤)

مشاهد المعارك في شكسبير يرافقها قرع الطبول وصدح الأبواق . غير ان الضوضاء فيها قليلة . فهي تقع على مسرح خال . والمعارك الكبيرة تقوم بها حفنة من الجنود . طبعاً في مسرح « الكرة » (في عهد شكسبير) لم يضن أحد بالصبغ الأحمر ، وكانت السيوف تصلصل على السيوف لفترات طويلة . ولكن مشاهد المعارك في شكسبير ليست وصفية ، ولا يقصد منها ان تخلق وهماً يشبه الواقع . ان صفتها درامية من ضرب آخر ـ من ضرب داخلي . المبارزات القاتلة ترصعها تأملات فلسفية مريرة ، أو سخرية . هنري الشاب بطل ، ويغلب بيرسي . إلا أن فولستاف يفضل أن يتظاهر بأنه جثة هامدة ، وهو يعلم ان الأهم لديه هو ان يظل حياً : فالحرب حرب ملوك وجنرالات ، لا حرب جنود . وهذا القول ينطبق ايضاً على الحرب في « كريولانس » .

يستولي الرومان على كريولي . لقد اجتاحها مارسيوس اجتياح العاصفة . ولم يبق منها إلا أشلاء مدينة ، يتخاطف منها الجنود شرائح يائسة :

روماني أول : هذا سأحمله الى روما .

روماني ثانٍ : وهذه سأحملها أنا .

روماني ثالث : اللعنة عليها ! حسبتها فضة !

هذه هي مشاهد التاريخ الدائم ابداً ، كما يراها شكسبير . مشاهد كتبت مرة لتبقى

الى الابد . انها تعميمات عريضة ، وتجسيدات مركزة ، في وقت معاً . حسبنا أن نتخيل هذا المشهد ، أو أن نعيد قراءته كما كتبه شكسبير ، لندرك الاسباب الأعمق لحماسة بريشت لمسرحية كريولانس . ان كريولانس نموذج عصري ، مباشر ، وتأكيدي لما كان يسميه بريشت بالمسرح الملحمي ، أكثر من تاريخيات شكسبير . الام شجاعة تقتات على الحرب ، وهي لا تعي حتى النهاية ان الحرب تقتات عليها وستجردها من كل شيء تملكه . الام شجاعة أشبه بأولئك الجنود الذين يتخاطفون من بعضهم البعض كأساً من الرصاص حاسبين إياها من الفضة . كثيراً ما كان بريشت ، في فترته الأخيرة ، يطلق على مسرحه الملحمي كلمة « ديالكتيكي » وكان يجد نموذجه في شكسبير . فلنستمر . قادة الرومان المظفرون ، ومن بينهم مارسيوس ، يدخلون طرقات المدينة الميتة ، الخالية وخلو المسرح الشكسبيري :

انظر الى هؤلاء المتسكعين الذين يثمنون شرفهم
بدرهم مصدوع ! وسائد ، ملاعق رصاص ،
حدائد ذات الفلس ، قمصان يدفنها الجلادون
مع مرتديها ، هذا ما يتخاطفه هؤلاء العبيد المناكيد .
وهم لما يفرغوا من القتال . تباً لهم !
واسمع ! يا لضوضاء ذلك القائد !

(١ ، ٥)

لقد جعل شكسبير مارسيوس يبدو بطلاً ، بوضوح وعن وعي . قوته قوة أخيل ، وصوته أقوى من صوت أي انسان . والقائد الفولسي يدعوه بـ « هكتور » بين رومان متبجحين . حتى الأسلوب والتشابيه المستعملة في وصف مآتيه الحربية هي على غرار أسلوب هوميروس . هذه أم كريولانس تتحدث عنه :

. . . جبينه الدامي
يسمحه بيد مدرعة ، وينطلق
كحصّاد التزم بحصاد الحقل كله ،
أو يفقد أجره .

(١ : ٣)

وهذا ما يقوله القائد الأعلى عنه :

لو كان ثمة جوهرة بقدر حجمك ،
لما كانت ثمينة مثلك . لقد كنت جندياً
كالذي تمناه « كاتو » ـ شرساً ـ رهيباً
لا بالضراب فقط ، ولكن بنظراتك الجهمة
وقصف صوتك كالرعد
جعلت اعداءك يرجفون ، كأنما الدنيا
محمومة وترتعد .

(١ ، ٤)

والقائد الفولسي يشير الى مارسيوس هكذا :

لست أدري ما السحر الذي فيه ،
غير ان جنودك يستعملونه صلاتهم قبل الأكل ،
حديثهم على المائدة ، وشكرهم في النهاية .

(٤ : ٧)

مارسيوس شجاع . في حملته الأولى وقى جندياً جريحاً بجسمه وحمله من ساحة القتال . وقد جرح سبعاً وعشرين مرة في خدمة روما . واستولى على كريولي بمفرده . وهو من غير أنانية . انه يرفض ان يعطى عشر الغنائم الذي هو من حقه ، ويطالب بتوزيع نصيبه بالتساوي بين الجميع . ولا يريد الحديث عن افعاله البطولية ، كما لا يريد من الآخرين ان يتحدثوا عنها .

والحرب تؤكد التفاوت الطبقي الذي كان مارسيوس يراه في أيام السلم . فالأشراف والعوام يختلفون في تصرفهم ابان الحرب . وقياساً على مارسيوس ، ما أبأس ما يبدو العوام ، هؤلاء الذين يرجفون قبل المعركة ، واذا تحقق النصر ، راحوا يتخاطفون الكؤوس والملاعق والخرق الملوثة :

. . أما سادتنا ،

المراتب العامة ـ لفهم الطاعون ! ـ يريدون تريبونات !
فما تجنب فأر هرّاً مثلما هم راوغوا
أوغاداً أحط منهم .

مارسيوس محق . في الحرب يتصرف العوام كالجرذان . هذه هي المرآة الأولى : الحرب كما يراها الأشراف . ولكن حتى في هذا الانعكاس تتخذ الحرب فجأة شكلاً موضوعياً ، كما في « الام شجاعة » . فشكسبير دائماً يمضي بمجابهاته حتى اقصى حدودها . في الحرب ليس ثمة منتصرون فقط ، بل مهزومون أيضاً . هذا تيطوس لارتيوس قد تسلم زمام السلطة في المدينة المغلوبة :

حاكماً على البعض بالاعدام ، والبعض بالنفي ،
قابلاً فدية هذا ، راحماً ذاك ، مهدداً الآخر ،
قابضاً على كريولي باسم روما .
كمن يمسك بسلوقي يبصبص في الرباط ،
ليطلقه حين يشاء .

(١ ، ٦)

ان هذه اكثر من مجرد تشابيه هوميرية . ولا نحن نجد مشهداً كهذا في بلوتارك . هذا تمثيل شامل لكل احتلال . هذا المشهد ايضاً يجب ان نقرأه ونتخيله كما كتبه شكسبير. انه يناقش نظام القيم الذي ينافح عنه مارسيوس . ويمثل ما يسميه بريشت « الديالكتيك الموضوعي » : انه يشير الى حكم الجمهور . . وحس المفارقة الدرامية عند شكسبير يتبدى في ان قائل هذه الكلمات هو مارسيوس نفسه .

في « كريولانس » هناك خطاب عجيب آخر لمارسيوس . يعود مظفراً الى روما ، وترحب به أمه وزوجته . ولا تنطق الزوجة كلمة واحدة ، بل تنخرط في البكاء ، فيقول كريولانس :

. . . آه يا عزيزتي ،
عيون كهذه انما تحملها الأرامل في كريولي
والأمهات الثكالى .

(٢ ، ١)

هل تنسجم هذه الكلمات مع شخصية كريولانس ؟ انها رقيقة ، حساسة ، اكثر مما نتوقع من قائلها . وفيها نغمة نشاز في لحظات الفرح هذه . انها تقوم مقام الاغاني في قطع بريشت الدرامية . انها ، مرة اخرى ، تموضع الأمر ، تذكرنا بالذين قد هزموا . لم تبق ثمة حاجة للمرآة الأخرى . غير ان شكسبير لا يتخلى عن شيء . انه سيرينا الانعكاس الآخر . الحرب في عيني قائد مهزوم .

اوفديوس : اخذوا المدينة !

جندي أول : ستعاد بشروط حسنة .

أوفديوس : شروط !

ليتني كنت رومانياً ، لأنني عاجز ،

وأنا الفولسي ، ان اكون ما أنا . شروط !

أي شروط حسنة تلقاها أية معاهدة

في الجانب المغلوب ؟ .

(١ ، ١٠)

- ٤ -

تجلس أم كريولانس وزوجته على مقعدين منخفضين ، تخيطان وتطرزان ، وتنتظران انباء القتال . هذه المقاعد المنخفضة بلا ظهر ، التي كانت النسوة يجلسن عليها في الامسيات ويتحدثن ، لنا أن نراها حتى اليوم في ستراتفورد ، بلدة شكسبير . وفي روما شكسبير هناك المنتدى (الـ « فورام ») ، الكابتول ، الصخرة الطاربية ، القناصل ، التريبونات ، مجلس الشيوخ . هذه الأسماء كلها مأخوذة عن بلوتارك . ان الاخطاء الزمنية - التي لاحظها بن جونسون عن رضا - قليلة في كريولانس . وامتعها صورة بطل روماني في المنتدى وهو يلوح بقبعته الكبيرة ازدراء امام جمهور غفير . كريولانس لابساً قبعة يبدو مضحكاً لنا ، ولكنه لم يبد مضحكاً للمتفجرين في عهد اليزابيث .

كان شكسبير يكتب لمسرح عصره . ولم يبدأ الاخراج الشكسبيري في زي العصور القديمة إلا في أواسط القرن التاسع عشر . أما شكسبير فكان معنياً بنوع آخر من الحقيقة التاريخية .

لم يجد مشاهد الحياة اليومية في بلوتارك ، بل اخذها من تجربته هو في لندن وستراتفورد . ، وجعلها معاصرة . ومازج بين الراقي والعامي عن قصد . وصوَّر روما على نحو لم يكن كورني أو راسين ليستطيع ان يصورها عليه :

الألسنة كلها تلهج به ، والأبصار العشواء

تلبس النظارات لتراه . هذه المربية الثرثارة

تدع طفلها يختنق بكاء

وهي تهذر عنه . وصبية المطبخ تشد

أثمن خامها حول عنقها الاسخم ،

وتتسلق الجدران لتعاينه : فالمصاطب والدكات والنوافذ

تغص ، والسقائف تزدحم ، والحواف تمتطي . . .

(٣ ، ١)

أم كريولانس وزوجته تزورهما جارتهما السيدة الفاضلة فاليريا ، التي تريد ان تخرج بهما للترويح عن النفس . ولكن فرجيليا لا تريد الخروج من البيت الى ان يعود زوجها من الحرب . وهي تنسج على نول . فتمازحها السيدة فاليريا بنكتة : « تريدين ان تكوني بنلوب أخرى : « ولكن يقولون ان الغزل الذي غزلته كله في غياب يولسيس انما ملأ ايثاكا بالعث ! » (١ ، ٣) كما في « طرويلس وكريسيدا » تعامل الاسطورة الاغريقية بسخرية ، لنراها في مظهرها اليومي العادي . لا بطولات هنا ، ولا انتظار متحرق لعودة قائد شجاع . في هذا الجو العائلي العادي لأمسية جميلة من أماسي ستراتفورد ، تأخذ فولومنيا فجأة ودون توقع مظهر الام الرومانية ـ أو بالأحرى ، الأم الاسبارطية . ليس لها إلا ابن واحد ، غير أنها تؤثر ان تراه ميتاً على ان تراه جباناً . ولو كان لها اثنا عشر ابناً فإنها تؤثر ان تفقدهم جميعاً : « لآثرت ان ارى احد عشر منهم يموتون بنبل من أجل وطنهم على واحد يستغرق في شهواته دونما فعل » .

(٢ ، ١)

أنها المرآة الأولى من جديد . وكما هو دأب شكسبير ، فثمة مجابهة ستتلو ذلك في الحال . في هذا المشهد ، عدا النسوة الثلاث ـ الام الاسبارطية ، والزوجة المحبة ، والجارة الثرثارة ـ هناك أيضاً ابن كريولانس الصغير . وهو لا ينطق بكلمة واحدة . ولا هو بحاجة الى ذلك . انه موضوع حديث النسوة :

فاليريا : الابن سر ابيه ، وايم الحق . قسماً انه لصبي جميل جداً . اتدرين ، يوم الاربعاء رحت انظر اليه نصف ساعة باستمرار : له وجه شديد العزم . رأيته يركض في إثر فراشة مذهبة ، وعندما أمسك بها أطلقها ، ثم راح في اثرها مرة اخرى ، ثم عثر ووقع ، فنهض وامسك بها ثانية . ولست ادري ان كانت وقعته قد اغضبته أو أي شيء آخر ـ كيف صر بأسنانه ومزقها ! أي والآلهة ، كيف فتفتها !

فولومنيا : احدى حالات أبيه .

فاليريا : انه ولد نبيل ، حقاً .

(١ ، ٣)

« انه ولد نبيل » . المفارقة الشكسبيرية تقصر نفسها على هذه الكلمات . ليس في بلوتارك مشهد كهذا . لقد أعطى شكسبير الأم الاسبارطية حفيداً يسحق « فراشة مذهبة » لمجرد التسلية . هذا كل ما هناك . في « تيطوس اندرونيكوس » - وتعتبر أقسى مسرحيات شكسبير ـ يقتل الفتى ماركوس ذبابة على صحن . وتيطوس ، الذي سيقدم في المشهد الأخير الى المملكة تامورا اكلة طبخت من قلوب ابنائها ، لا يستطيع ان يرى مقتل ذبابة بريئة :

ولكن هب ان لتلك الذبابة أباً وأماً ؟
لراح كلاهما يمس جناحها الرقيق المذهب ،
ويغنُّ ـ بالندب والنحيب في الهواء !

(تيطوس ٣ ، ٢)

طلب الملك لير من الآلهة ان تخفف من قسوة الدنيا . غير ان الآلهة بقيت صامتة . وتبين انها لا تقل قسوة عن الطبيعة والتاريخ . في كريولانس تجرد الطبيعة والتاريخ من كل لبوس ميتافيزيقي . فالقسوة جزء من نشأة القائد . وما ابن كريولانس إلا حفيد المرأة الاسبارطية .

يعود كريولانس . ويريد الاشراف تنصيبه قنصلاً . وكل ما عليه ان يفعل ، وفق الشريعة والعرف ، هو أن يخرج الى المنتدى (الفورم) ، ويعرض ندب جروحه على المواطنين ، ويطلب موافقتهم . ولكنه يرفض ، لشدة ما يحتقر الشعب . انه جندي ولن يكذب . وهو يريد ان يبقى صادقاً مع نفسه ـ أي صادقاً مع طبيعته . النسور لا تسف الى

مستوى الجرذان والغربان . وكريولانس يريد أن يقر العالم بعظمته . ألا ان العالم منقسم الى عوام وأشراف . ونظام كريولانس الهرمي لا يتفق والعالم الحقيقي . والجرذان تأبى ان تعتبر نفسها أحط من النسور .

الام الاسبارطية ترجو ابنها أن يتواضع ويذهب الى المنتدى ليطلب أصوات الناس ، قائلة ان الدهاء لا يناقض الشرف ، وليس عاراً ان يستعمل في الحرب ، والحرب لم تنته بعد ، فالعدو داخل أسوار المدينة . والعوام هم العدو :

. . . من الواجب عليك الآن ان تتحدث

الى الشعب . لا بما توعزه اليك نفسك ،

ولا بما يلقنك اياه قلبك ،

ولكن بكلمات كالتي يحفظها

لسانك ، وان تكن كلها بنات حرام . . .

. . . .

وهذا لن يمس شرفك أبداً

أكثر مما يمسه استيلاؤك على مدينة بالفاظ معسولة .

لولاها لجازفت بمصيرك .

وبأخطار سفك دماء كثيرة .

(٣ ، ٢)

بالنسبة الى الام الاسبارطية ، لا فرق بين الحرب والسلم ، بين العدو الخارجي والداخلي . فأم كريولانس ، كالعوام ، انما ترى طبقتين تكره احداهما الأخرى ، ولا تنتهي الحرب بينهما . وفيما عدا ذلك، فإن روما بالنسبة اليها هي الأشراف .

روما وجرذانها على وشك الوقيعة ،

ولا بد لأحد الطرفين من هلاك !

(١ ، ١)

هذه الكلمات يقولها اغريبا نفسه ، الذي روى للعوام الثائرين حكاية المعدة

وأعضاء الجسم المتمرد . هو ايضاً يزور كريولانس ويطلب اليه ان يذهب الى المنتدى . ولسوف يذهب كريولانس ولكن مكرهاً . في هذه الدراما التي تدور حول الحقد الطبقي نجد ان كريولانس هو كما يراه العوام ، ولكن العوام أيضاً هم كما يراهم كريولانس . فشكسبير لا يعاني من أي وهم وان يكن قد حكم على العالم ، فإن ذلك لن ينجم عنه تغير العالم ، واللهب الكبيرة قد تثير النشوة أو الرعب ، غير أنها تبقى ناراً آكلة .

وأما الكثرة المتقلبة الخبيثة العبق .

فليتمعنوا فيَّ انا الذي لا أتملق

يشاهدوا فيَّ أنفسهم . . . (٣، ١)

في مسرحية يوليوس سلوفاجكي ، كورديان ، يقول الغراندوق قسطنطين : « يقف الناس هناك ، ساكنين ، مظلمين ، موحلين . أنا لا أحب هؤلاء الناس » . والناس في كريولانس مظلمون وموحلون ، ولكنهم غير ساكنين . انهم ينبحون كقطيع من الكلاب الضارية حرمت عظمة تأكلها . والناس في المشهد الأول يريدون قتل كريولانس ، ولكنهم فيما بعد يتفرقون حال سماعهم أول أنباء الحرب .

يتجمهر الناس في الشوارع ويقذفون بقبعاتهم عالياً في الهواء ، ليرحبوا بمقدم كريولانس نفسه بعد انتصاره . ينسون كل شيء ، ويوافقون على تنصيبه قنصلاً . كل ما يرجون منه هو كلمة طيبة واحدة . وبعد ذلك بساعة ، اذ يحرضهم التريبونان، يطالبون برأس كريولانس ، ويطردونه من المدينة . ومرة اخرى تقذف القبعات عالياً في الهواء . وعندما يظهر كريولانس ، قائداً جيش الفولسيين ، على أبواب روما ، ينقلب العوام على قادتهم ويريدون تقطيعهم ارباً . ويتملقون الاشراف يلتمسون الرحمة . انهم مستعدون لقبول أي شيء من اجل انقاذ اسمالهم النتنة ، وحياتهم .

. . . وذاك الذي تقلص كالجزر ، وما احبه أحد

حتى ما عاد أهلاً لحب ،

يعود عزيزاً عندما يفتقد . جموع العوام هذه ،

كراية شريدة يحملها السيل ،

تذهب وتؤوب خانعة للتيار المتقلب

حتى تهرىء نفسها بالحركة .

(انطـوني وكليوباترا ، ١ ، ٤)

هذه العبارة ، من انطوني وكليوباترا يمكن ان تكون من **كريولانس** ، **أو هنري السادس** ، أو **يوليوس قيصر** . في مشهد الاغتيال الرائع من المسرحية الاخيرة ، يهتف الجمهور لبروتس لتحقيقه قتل قيصر . ولكن ما يكاد مارك انطوني ينتهي من خطابه ، حتى يغضب العوام على قتل قيصر ، وينقلبون على القتلة . لقد رأى شكسبير كيف اكتظت الجماهير في الطرقات لاستقبال اللورد اسكس بالمشاعل ، وكيف اكتظت فيما بعد لرؤية الجلاد يقطع رأسه . الشعب بالنسبة الى شكسبير ان هو إلا موضوع التاريخ ، لا فاعله . قد يثير الاشمئزاز أو الشفقة ، أو الرعب . غير أنه لا حول له ، انه العوبة بأيدي أولئك الممسكين بزمام السلطة . من هم هؤلاء التريبونات؟ في **كريولانس** نرى اثنين منهم . هذان اثنان من قضاة لندن ، انتخبهما أهل الحرف ، يضعهما شكسبير في منتدى روما . هكذا يصفهما منينيوس :

منيوس : ما تطمحان إلا لرؤية الأنـاس المساكين يرفعون لكما القبعات ويثنون الركب . انكما لتستهلكان ضحى جميلاً مفيداً بسماع قضية تقام بين بائعة برتقال وبائع حنفيات ، ثم تؤجلان مناقشة العشرين فلسا الى جلسة يوم ثانٍ ! وعندما تنظران في أمر ما بين فريق وفريق ، اذا قرصكما المغص ، تقلصت وجوهكما كالممثلين الصامتين ، ورفعتما البيرق الدامي ضد الصبر الجميل ، وصرفتما المرافعة وهي بعد نازفة ، وانتما تصرخان في طلب قعادة . . .

(٢ ، ١)

هذان الاحمقان الخاملان ، بكل ما فيهما من عجرفة وعنف وضيق صدر ، هما اللذان يمثلان الشعب في **كريولانس** . انهما « الراعيان لوحوش العوام » ، ورائحتهما لا تقل خبثاً عن رائحة السوقة . كلاهما مبتلى بنوع من الجرب ولا يكف عن حك جلده كبعض القرود . ولكنهما يعرفان كيف يحميان قطيعهما . هذان التريبونان، بروتس وسيسنيوس ، قد يكونان قميئين ، مشوهين ، حسودين ، شكاكين ، إلا أن لديهما غريزة طبقية . يسألان عن أنباء الحرب .

بروتس : أطيبة أم سيئة ؟ .

منيوس : ليست كما يرجوه الشعب . لأنهم لا يحبون مارسيوس .

سسنيوس : ان الطبيعة تلقن الحيوانات معرفة اصدقائها .

(٢ ، ١)

ليس شكسبير مفتوناً وحسب بتحول الحاكم العادل الى طاغية ، انه مفتون بالتاريخ نفسه . أين ومتى يتقرر ، ومن يقرره ؟ هل له وجه انسان . اسم أمير وعواطفه ، أم أنه مجرد تراكم من الصدف ، أو آلة اخذت تتحرك ؟ في « كريولانس » نرى التاريخ وهو يمثل في ميدان المدينة . وهذان الرجلان القميئان المضحكان يساهمان في دفعه .

هيا الى الكابتول .

سنكون هناك قبل وصول سيل الشعب ،

فيبدو هذا الذي دفعناهم اليه ،

وان يكن بعضه منهم ، وكأنه كله من فعلهم .

(٢ ، ٣)

في مشاهد القتال يندفع الجنود عبر المسرح ، والسيوف في أيديهم ، ويقف الامراء على الجانبين المتقابلين من المنصة مع الاعلام الكبيرة . ويراقب القادة ساحة المعركة من على الشرفة العليا . فشكسبير يقدر للبهرجة قيمتها ، غير ان بهرجة المشهد ليست هدفاً بحد ذاتها لديه . انه يشجب الحرب بابراز المذبحة الاقطاعية . « الكومبارس » يملأون المسرح : انهم يمثلون الشعب . وفي المسرح الداخلي ، أو على الشرفة العليا ، يجلس الشيوخ بأبهة تأخذ البصر . وعلى المنصة الأمامية ، أقرب اجزاء المسرح الى المتفرجين ، يقف كريولانس ، ومننيوس ، وتريبونان . والأخيران ما عادا يثيران الضحك :

اننا نتهمك بأنك تآمرت على

تجريد روما من كل منصف وطيد ،

وعلى الانتهاء بنفسك الى تسلط المستبد ،

وبهذا تكون خائناً للشعب .

(٣ ، ٣)

واذا أحد شوارع لندن القرن السابع عشر يتحول أمام أعيننا الى مشهد عظيم للثورة

الشعبية . ليس في بلوتارك مشهد كهذا . لقد كان شكسبير أول من القى رداء حماة الحرية والجمهورية الروماني على اكتاف اثنين من صناع لندن بكل ما فيهما من رائحة وهوى للضجيج . لا شك ان اليعقوبيين ، في الثورة الفرنسية ، كانوا سيتبينون أنفسهم في تريبوني شكسبير الشعبيين أفضل مما تبينوها في لوحات الرسام دافيد الضخمة :

بروتس : لم يبق ما يقال . انه منفيّ ،

كعدو للشعب ووطنه :

لقد وجب التنفيذ.

مواطنون : وجب التنفيذ ، وجب !

(٣ ، ٣)

في مشاهد القتال والنهب يبرز لنا شكسبير الوجه الأزلي للحرب والاحتلال . والميزة الكبرى في المآسي الشكسبيرية هي شموليتها التاريخية . وشكسبير غني عن التحديث أو التنقيح لجعله معاصراً ، لأن التاريخ يملأ مسرحياته بمحتوى جديد أبداً ، ويرى فيها انعكاسه ، في كل عصر . في المشهد الأول من « كريولانس » ، نص العوام على نظريتهم في التقسيم الطبقي بكل ما أوتوا من صخب . والآن ، ها هم يجابه الواحد الآخر : الشيوخ بأناقاتهم وبرودهم ، والعوام وهم يهزون بقبضاتهم ويلوحون بعصيهم . هذا المشهد نفسه سيتكرر في مواقف تاريخية كثيرة . في الكابتول وفي المنتدى ، تتكشف قوانين الثورة ، والمواقف والصراعات كلها ، محددة واضحة كالمعدات ، ومركزة في عبارات من حوار . « القمة » و « الحضيض » يقفان وجهاً لوجه ، اليعقوبيون والجرنديون ، الديمقراطيون الثوريون ، والليبراليون . هذه محاكمة كريولانس تستمر :

يقول بروتس ، أو اليعقوبيون :
. . . هذه الأساليب الباردة .

التي تبدو أشبه باسعافات حكيمة ، شديد سمها .
اذا كان الداء عنيفاً . اعتقلوه

واحملوه الى الصخرة .

ويقول منتيوس : ، أو الليبراليون :

لا تصيحوا بالويل والثبور ، وطرادكم

بعد غير مؤكد .

. . . .

قسماً لكم ، اذ راح يقتل الاعداء
فقد من الدم أكثر مما في عروقه منه . . .
أما أن يستنزف وطنه ما تبقى من دمه ،
فانها لنا كلنا ، من يفعلها ومن يسمح بها ،
وصمة عار الى أبد الآبدين ،
اذا القدم أصيبت بالاكال ،

. . . .

ألا تحترم خدمتها لما كانت
عليه من قبل ؟

. . . .

سيروا وفق الأصول .
ويقول شيخ ، أو الأرستقراطيون :
ايها التريبونان الكريمان ،
هذا هو الأسلوب الانساني : أما الطريق الأخرى
فلن تكون إلا دموية ، ونهايتها
مجهولة لدى بدايتها .
ويقول سسنيوس ، أو الجرنديون :
أيها الكريم مننيوس ،
فلتكن انت اذن كموظف للشعب .
ايها السادة ، اخفضوا سلاحكم .

ويقول بروتس ، أو اليعقوبيون :

لا تذهبوا الى بيوتكم !

(٣ ، ١)

الشعب في كريولانس احمق وجاهل ، نتن الرائحة وافراده ينهمكون بتجميع الخرق النتنة في ميادين القتال . والتريبونان قميئان ، مشوهان ، مخاتلان . وكريولانس شجاع ، عظيم ، نبيل . بيد ان الشعب هو روما ، وكريولانس خائن لبلده .

سسنيوس : وهل المدينة إلا الشعب ؟ .

مواطنون : حقاً ،

الشعب هو المدينة .

بروتس : لقد تثبتنا برضا الجميع .

قضاة للشعب .

مواطنون : وما زلتم كذلك .

(٣ ، ١)

الآن فقط يبدأ القسم القوي الثاني من الدراما . نَفى العوام كريولانس من روما ، والأشراف الجبناء قد هجروه . لم تقدر روما شجاعته ونبله : لقد برهنت روما انها منحطة .

كريولانس : . . . من اجلكم .

احتقر المدينة ، وأدير لها ظهري هكذا .

ثمة عالم في مكان آخر .

(٣ ، ٣)

ولكن عالم شكسبير مزدحم ، ولا فراغات فيه . ليس هناك إلا الاشراف ، والعوام ، وأعداء روما . ولن يستطيع كريولانس اختيار مكان له إلا في العالم الذي احرقه هو . فهو لا يذهب الى اللامكان ، ولا يستطيع ذلك ، كما يفعل الابطال الرومانسيون .

المواقف يقررها التاريخ ، وهي فوق ارادته ومستقلة عنه . سيذهب كريولانس الى الفولسيين . لقد أثبت التاريخ ان العوام محقون : عدو الشعب أصبح عدو روما . في الفصول الثلاثة الأولى من المسرحية نشاهد دراما جرداء هي دراما المواقف الطبقية . بوسع المرء ان يدعوها أيضاً دراما الحتمية التاريخية . وليس فيها من فرق بين الوضع الاجتماعي والفعل ، أو السيكولوجية . وكريولانس بإمكانه أن يكون رجلاً بلا اسم ، تماماً « كالمواطن الأول » و « المواطن الثاني » و « المواطن الثالث » . ما هو إلا قائد عسكري طموح ، يكره الشعب وينضم الى معسكر العدو عندما يخفق في الحصول على السلطة الديكتاتورية . ومن لحظة خيانة كريولانس فقط يكف العالم عن كونه واضح المعالم منظماً وفق مبدأ واحد . ما عاد التاريخ معلماً للأخلاق العلمانية . وتضحي تناقضات العالم الموضوع التالي للمأساة . وهذا الموضوع الجديد لا يقل ملاءمة لشكسبير عن الموضوع الأول . حتى الأسلوب نراه يتغير : انه تارة غروتسكي ، وتارة مثير للشفقة ، وأخرى ساخر . وكريولانس يهزأ من نفسه ومن العالم ، كما كان يفعل هاملت عندما يتحدث الى بولونيوس . بل انه يصف حتى احلامه . « الزمان مضطرب » ، بالضبط كما كان في مملكة الدانمرك .

خادم ثالث : اين تقيم ؟

كريولانس : تحت السرادق .

خادم ثالث : تحت السرادق ؟

كريولانس : نعم .

خادم ثالث : وأين يكون ؟ .

كريولانس : في مدينة الحدآت والغربان .

خادم ثالث : في مدينة الحدآت والغربان ؟ يا للحمير !
اذن أنت تقيم مع الزيغان كذلك ؟ .

كريولانس : كلا فأنا لا أخدم سيدك .

(٤ ، ٥)

لا يليق دور الخائن بكريولانس . لا وضعه الخاص يقرر ذلك ، ولا وجوده الاجتماعي . وذاته الداخلية لا توافق عليه . ولئن يعلن التاريخ ان العوام كانوا على

حق ، فإن شكسبير لا يعترف بأن التاريخ كان على حق ، أو أنه كان على حق نهائياً . لقد تبين ان التاريخ أقوى من كريولانس : فأمسك به وزج به في طريق مسدود ، وجعل منه خائناً مزدوجاً .

لقد هزىء التاريخ بكريولانس ، ولكنه لم يفلح في تحطيمه . في الفصلين الرابع والخامس نرى ان كريولانس قد تخطى بنموه الرومان والفولسيين كليهما ، العوام والاشراف معاً . وفي هزيمته ثمة انتصار ،انتصار على الأقل، بالمعنى الذي يعرفه ابطال روايات جوزف كونراد .

يقول منتيوس عن كريولانس ان طبيعته انبل مما يستحقه العالم ، في حين ان ممثل الشعب بروتس ، يقذف بهذه الكلمات في وجه كريولانس :

انك تتحدث عن الشعب

كأنك إله يعاقب ، لا بشر

يشاطر البشر ضعفهم .

(٣ ، ١)

والرأيان متناقضان في الظاهر فقط . ان كريولانس يحتقر العالم ، لأن العالم حقير . وهو يريد تدمير العالم ، بما فيه روما ، لأن العالم وروما لا يستحقان البقاء :

حاولت ان اوقظ مشاعره

تجاه أصدقائه الاخصاء ، فكان جوابه لي

انه لا يستطيع التريث لالتقاطهم من كومة

من العصاف العفن النتن ، وقال ان من الحماقة

ألا تحرق النفايا من أجل حبة هزيلة أو حبتين ،

ويبقى النتن في الأنف .

(٥ ، ١)

ان كريولانس يقاوم العالم بنظام من القيم خاص به ، مهما يكن غير معقول . لقد انبثقت هزيمته لحظة موافقته ، رغماً عن نفسه ، على الذهاب الى المنتدى ليعرض آثار

جروحه ويطلب الأصوات . ولم يطلب هذا اليه أمه فقط ، ومننيوس والاشراف ، بل الشعب وتريبوناته أيضاً . ومفارقة شكسبير الدرامية تبرز في ان كلا الفريقين ـ رغم ما بينهما من كراهية وصراع ـ طالب كريولانس بتنازل ما ، من أجل حل وسط . وحين تنقلب القيم فجأة في نهاية المأساة ، وحده كريولانس يرفض التنازلات والحل الوسط ، أو على الأقل يحاول رفضها :

أشبه بممثل بليد .
نسيت الآن دوري . . .

(٥ ، ٣)

مرة اخرى اثبت العالم انه اقوى من كريولانس . كان بروتس محقاً : ما كريولانس إلا بشر ، مليء بمواطن الضعف ، كغيره من البشر . كريولانس يريد تدمير العالم ، لأن العالم يناقض شرائع الطبيعة . ولكن باسم هذه الشرائع عينها تدينه الام والزوجة والولد . وعليه ان يدين نفسه . ويشعر أنه قد وقع في شرك نصبه له العالم الحقيقي الذي لا يتهاود ولا يرحم . ويسقط ضحية ميثولوجية ، ضحية ما في شرائع الطبيعة من منطق مجنون .

ولكن ، اليك عني أيها العطف !
وليتكسر كل قيد وحق تفرضه الطبيعة !
وليكن العناد فضيلة .

. . . .

. . . اني أذوب ،
وما أنا بتراب أصلب من الآخرين . أمي تنحني ـ
كأنما جبل اولمب ينحني ضارعاً
لكومة تراب صغيرة ، وابني الحدث
يتشفع بوجه تصرخ له
الطبيعة العظيمة : « لا ترده ! »

(٥ ، ٣)

لقد أدرك كريولانس انه خدع في توزيع الأدوار ، . أراد أن يلعب دور إله منتقم . في حين انه لم يعط في سيناريو التاريخ إلا دور خائن . لم يبق له إلا أن يحطم نفسه بنفسه . سيكف يده عن روما ليؤكد نبله ، ليخرج من الدور الذي فرض عليه . غير ان عليه ، لانقاذ روما ، ان يقترف خيانة اخرى . وكحانث بيمينه سيقتله الفولسيون . ويجيء مصرعه مأساوياً وساخراً في وقت معاً . انه مأساوي في العالم الذي خلقه كريولانس ، مأساوي وفق نظامه المطلق المجنون للقيم . وهو ساخر في العالم الحقيقي ، عالم الواقع . وأما شجاعة كريولانس ونبله فلسوف يمدحها الرجل الذي قتله ـ القائد الفولسي أوفديوس . انه سيؤ بنه التأبين الأخير ، كتأبين أغسطس قيصر لأنطوني ، أو فورتنبراس لهاملت . في روما تقام الأفراح ويحتفل الناس بالسلام . ولأول مرة في هذه المسرحية الجهمة ، المليئة بصليل السيوف وصراخ الجماهير ، ثمة انغام وموسيقى ، وتشرق الشمس . ان « كريولانس » تنتهي كما تنتهي مسرحية دورنمات «الزيارة » . يقتل الفريد أيل ، فيتمتع أهالي غولن برفاههم الجديد ، ويحتفلون فرحين بعيد العدالة .

الأبواق والمزامير ، السنطور والناي ،

الدفوف والصنوج ، وصيحات الرومان :

كلها تجعل الشمس ترقص . اسمع !

(٥ ، ٤)

هنا الشوكة في خصر هذه الدراما ، وهي التي كانت السبب لأمد طويل في عدم الاقبال عليها . صورة العالم مصدعة ويعوزها التماسك . لم تحل التناقضات ولم يوجد نظام للقيم مشترك بين المدينة والفرد . « انه يحب شعبك ، ولكن لا تجبره على مشاركته الفراش » ، يقول منينيوس لبروتس ، مشيراً الى كريولانس . ولكن ذلك غير صحيح . كريولانس لم يحب الشعب . إلا أن هذا لا يعني ان على كريولانس ان يدان ويحكم . ففي تلك الجملة تتركز خلاصة الدراما المرة لإنسانية النهضة ـ بل كل إنسانية اخرى .

مــأســـــاة كــريـولانـــس

اشخــاص المســرحيــة

كايوس مارسيوس :يدعى فيما بعد كايوس مارسيوس كريولانس ،روماني نبيل		Caius Marcius
تيطوس لارتيوس :	قائدان ضد الفولسيين	Titus Lartius
كومينيوس :		Cominius
منيوس أغريبا : صديق لكريولانس		Menenius Agrippa
سسنيوس فلوتوس :	اثنان من تريبونات الشعب	Sicinius Velutus
يونيوس بروتس :		Junius Brutus
مارسيوس الصغير : ابن كريولانس		Young Marcius
رسول روماني :		A Roman Herald
تلوس أوفديوس : قائد الفولسيين		Tullus Aufidius
ملازم لاوفديوس		Lieutenant to Aufidius
متآمرون مع اوفديوس		Conspirators with Aufidius
مواطن من آنتيوم		A Citizen of Antium
حارسان فولسيان		Two Volscian Guards
فولومنيا : أم كريولانس		Volumnia
فرجيليا : زوجة كريولانس		Virgilia
فاليريا : صديقة فرجيليا		Valeria
وصيفة تخدم فرجيليا		Gentlewoman attending on Virgilia

شيوخ رومان وفولسيون ، اشراف ، ايديلات ،

شرطة ، جنود ، مواطنون ، سعاة ، خدم .

لاوفديوس، مرافقون .

مكان المسرحية : يتراوح بين روما وضواحيها ، وكريولي وضواحيها، وآنتيوم .

الفصـــل الأول

المشهد الأول

روما. شارع

تدخل جمهرة من المواطنين الثائرين،
يحملون العصي والهراوات وأسلحة أخرى

مواطن أول : قبل أن نتقدم اكثر من هذا ، اسمعوني اتكلم .

مواطنـــون : تكلم ، تكلم .

مواطن أول : كلكم مصممون على انكم تؤثرون الموت على التضوّر جوعاً ؟

مواطنـــون : مصممون ، مصممون .

مواطن أول : أولاً ، انتم تعلمون ان كايوس مارسيوس هو عدو الشعب الأكبر ؟ .

مواطنـــون : نعلم ، نعلم .

مواطن أول : لنقتله ، فنحصل على القمح بالسعر الذي نريد . أهذا قرار ؟
مواطنـــون : كفانا كلاماً عنه . لننفّذه : هيا ، هيا !

مواطن ثانٍ : كلمة واحدة ، أيها المواطنون الطيبون .

مواطن أول : اننا نعتبر مواطنين فقراء . أما الطيبون فالأشراف . وما يتخم أهل السلطة كافٍ لاسعافنا : فلو انهم يقدمون لنا الفيض عن حاجتهم ، قبل أن يعفن ، لقلنا انهم يسعفوننا بانسانية . غير أنهم يحسبوننا نكلّفهم غالياً . والهزال الذي يبتلينا ، مشهد بؤسنا هذا ، ليس إلّا كشفاً بتفاصيل وفرهم .

معاناتنا كسب لهم . فلننتقم لذلك بعصيّنا الغليظة ، قبل أن نضحي عيداناً رفيعة . تعلم الآلهة أنني ما أقول هذا إلا جوعاً للخبز ، لا ظمأ للانتقام .

مواطن ثانٍ : أتريدون أن تسيروا على الأخصّ ضد كايوس مارسيوس ؟

الجميـــع : ضده أولاً : انه للجماهير كلب بعينه .

مواطن ثانٍ : هل اعتبرتم الخدمات التي قدمها لبلاده ؟

مواطن أول : أحسن اعتبار . ولكُنّا نسعد بأن نقول فيه أجود الحمد ، لولا أنه يكافىء نفسه بالكبرياء .

مواطن ثانٍ : أرجوك ، لا تتكلم بحقد .

مواطن أول : اني أقول لكم ، كل ما اشتهر بفعله ، لم يفعله إلاّ للغاية تلك . فلئن يقنع ذوو الضمير الرقيق بالقول انه فعل ما فعل من أجل بلاده ، فإنه انما فعله ليرضي أمه ، وبعضاً ليملأ نفسه كبراً . متكبر هو ، حتى الذروة من شجاعته .

مواطن ثانٍ : ما لا حيلة له به في طبعه ، تعدّه أنت رذيلة فيه . ولكن إياك أن تقول انه جشع .

مواطن أول : ان لم أقل ذلك ، فإنني لم أُعْدَمَ اتهاماتٍ له . انّ له من النقائص ، حتى الفيض ، ما يُمَلُّ تعداده . (صيحات من الداخل) ما هذه الصيحات ؟ لقد ثارت الناحية الاخرى من المدينة ! فيم بقاؤنا هنا نثرثر ؟ الى الكابتول !

الجميـــع : هلمّوا ، هلمّوا !

مواطن أول : لحظة ! من القادم هنا ؟

مواطن ثانٍ : السيد الفاضل منينيوس أغريبا ، رجل أحب الشعب دائماً .

مواطن أول : رجل لا غبار عليه : ليت الآخرين كانوا مثله !

يدخل منينيوس أغريبا.

منينيـــوس : أي فعل انتم بصدده ، أيها المواطنون ؟ اين تذهبون بالعصيّ والهراوات ؟ ما الأمر ؟ تكلموا ، أرجوكم .

مواطن أول : شأننا ليس بالمجهول لدى مجلس الشيوخ . لقد رأوا هذين الاسبوعين بوادر مما ننوي القيام به ، وهو ما سوف نريهم اياه الآن أفعالاً . يقولون ان لأهل الحاجة انفاساً قوية : لسوف يعلمون ان لنا سواعد قوية كذلك .

مواطن أول : لن نستطيع فعل ذلك يا سيدي ، فقد هلكنا وانتهينا .

منينيـــــوس : اقول لكم ، ايها الصحب ، ان للأشراف بكم
أكرم العناية . أما مطاليبكم .
أمّا معاناتكم في القحط هذا ، فما رفعها
بوجه الدولة الرومانية إلا كرفعكم العصيّ
بوجه السماء . ولسوف تمضي الدولة
في الطريق الذي اتخذته ، مقطّعة عشرة آلاف عنان
أمتن حلقات من كل ما قد يبدو في عوائقكم . فالقحط
من صنع الآلهة لا الأشراف .
وثني الركب لها ، لا رفع السلاح ، هو الذي يفيدكم
يؤسفني أن الرزيّة قد شطت بكم
الى حيث المزيد في انتظاركم .
وأنتم انما تطعنون في مسيّري الدولة المعنيين بكم كالآباء
عندما تشتمونهم كالأعداء .

مواطن أول : المعنيين بنا ! صحيح والآلهة ! ما عُنُوا بنا حتى اليوم قط .
يجعلوننا نجوع ، وعنابرهم محشوّة بالقمح . يصدرون المراسيم للربا ، ليدعموا المرابين . يلغون كل يوم أي قانون شُرِّع ضد الأغنياء ، ويأتون كل يوم بالشرائع الجارحة ، لغلّ الفقراء وكبحهم . إن لم تلتهمنا الحروب ، التهمونا هم : هذا كل ما يكنّونه لنا من حب .

منينيـــــوس : اما أن تعترفوا بأنكم جد حاقدين ،
أو تتهّموا بالحماقة . سأروي لكم
حكاية جميلة : ربما سمعتموها من قبل ،

ولكن ، لأنها تخدم غرضي ، سأجازف بالنيل من طراوتها
من جديد

مواطن أول : سأسمعها يا سيدي . ولكن لا تحسبنّ أنك تخادعنا عن زرايتنا
لمحض حكاية . تفضل بالكلام .

منينيـــــوس : كان ما كان أن أعضاء الجسم كلها
ذات يوم تمرّدت على البطن ،
واتهمته قائلة انه كالهوة باقٍ
وسط الجسم ، خاملاً عاطلاً
يخزن الطعام دوماً ، ولا يتحمل يوماً
مشقة كالتي تتحملها البقية . في حين ان الأدوات الأخرى
تبصر ، وتسمع ، وتبتكر ، وتعلّم ، وتمشي ، وتحسّ ،
وهي اذ تسعف الواحدة الأخرى إنما تخدم
الرغاب والعواطف المشاعة في الجسم كله .
فأجاب البطن ـ

مواطن أول : أجل ، سيدي ،
ماذا أجاب البطن ؟

منينيـــــوس : سأخبرك يا سيدي . بابتسامة
لم تصدر قط عن الرئتين ، هكذا ـ
فأنت ترى اني قد اجعل البطن يبتسم
كما أجعله ينطق ـ أجاب البطن زاجراً
الأعضاء الساخطة ، تلك الأجزاء المتمرّدة
التي تحسده على ما يتسلّم ، بالضبط كما تحسنون فعلاً
اذ تذمّون شيوخنا لأنهم
ليسوا مثلكم .

مواطن أول : ماذا كان جواب بطنك ؟
الهامة المتوجة ملكياً ، العين اليقظة ،
القلب الناصح ، الساعد جنديّنا ،

الساق جوادنا ، واللسان بوّاقنا ،
وغير ذلك مما في هيكلنا هذا
من مدافعين وصغار المعنيين ،
ان كانوا

منينيـــــوس : ثم ماذا ؟
والله ان هذا الرجل ليتكلم ! ثم ماذا ؟ ثم ماذا ؟ .

مواطن أول : سيتحكّم بهم البطن الجشع
وهو بالوعة الجسد ـ

منينيـــــوس : نعم ، ثم ماذا ؟

مواطن أول : اذا تشكّى هؤلاء العاملون ،
ما الذي بوسع البطن أن يجيب ؟

منينيـــــوس : سأقول لك :
ان كنت ستمنحني شيئاً من هذا الذي ليس عندك منه
الا القليل ـ الصبر ، ستسمع جواب البطن .

مواطن أول : أراك تماطل بذلك .

منينيـــوس : تفضّل واسمع ، يا صاح .
كان صاحبك البطن الوقور متأنّياً ،
لا طائشاً كمتهميه ، فأجاب هكذا :
قال : « صحيح أيها الصحب المتحدون
أنني أول من يتسلم طعام العموم
هذا الذي تعيشون عليه ، وذاك خليق بي
لأنني مخزن الجسم كله
وحانوته : ولكنني ، ان كنتم تذكرون ،
أرسله في أنهر دمكم
الى البلاط ، القلب ، والى مقرّ العقل .
ومن خلال ممرات وحجرات الانسان
تتلقى مني أقوى العضلات وأحطّ العروق
القدرة الطبيعية التي
تحيا بها : فإن كنتم ، أيها الصحب الكرام

لا تستطيعون جميعاً ـ » هكذا يقول البطن ، أمنتبهون ؟

مواطن أول : نعم ، سيدي ، نعم . ثم ؟

منينيـــــوس : « فإن كنتم لا تستطيعون جميعاً ان تروا
دفعة واحدة ما أوصله الى كل واحد منكم ،

فإنّ بامكاني أن أقدّم لكم الحساب » ، لأريكم
ان الكل ينال مني طحين الكل
ولا يبقى لي أنا إلا النخالة » فما رأيكم ؟

مواطن أول : جواب لا بأس به . كيف تطبِّقه ؟

منينيـــــوس : شيوخ روما هم هذا البطن الصالح ،
وانتم الأعضاء المتمردة . لأنكم لو تفحصتم
نصائحهم واهتماماتهم ، وهضمتم الأمور كما ينبغي
بصدد الصالح العام ، لوجدتم
أن ما من خدمة عامة تنالونها
إلّا وتصدر عنهم ، وتنبثق منهم
لا عنكم أو منكم أنتم . ما رأيك
أنت ، يا أخمص هذا التجمع ؟

مواطن أول : أأنا أخمص ، لماذا أخمص ؟

منينيـــــوس : لأنك ، وأنت من أحط ، وأحقر ، وأفقر
هؤلاء المتمردين العاقلين ، أول من يسير أمامهم
فأنت أهزل من في القطيع ، وأسوأ من فيه طراداً ،
وتسبق الجميع لكسب مغنم لنفسك .
ولكن عليكم بالعصيّ الغليظة والهراوات :
فروما وجرذانها على وشك الوقيعة .
ولا بد لأحد الطرفين من هلاك !

يدخل كايوس مارسيوس
سلاماً، أيها النبيل مارسيوس!

مارسيـــــوس : شكراً . ما الأمر ، أيها الأوغاد المتنابزون ،

تمعنون في حكّ آرائكم
فتصيبون أنفسكم بالجرب ؟
مواطن أول : لا يصيبنا منك أبداً إلا الكلمة الطيبة !
مارسيـــــوس : من يسمعك كلمات طيبة ينافق نفاقاً .
أحطّ من المقيت . ما الذي تريدون ، أيها الأجراء ،
يا من لا السلم تحبّون ولا الحرب ؟ هذه ترعبكم ،
وتلك تملؤكم عجرفة . من يثق فيكم ،
ويتوقعكم أسوداً ، يجدكم أرانب ،
واذا توقعكم ثعالب ، وجدكم اوزّاً ،
فما انتم أولى بالثقة من
جمرة النار على الثلج ،
أو بَرَدٍ في الشمس . أما فضيلتكم
فهي أن تجعلوا محترماً ذاك الذي يذلّه جرمه
وتشتموا العدالة التي أذلّته. من يكن أهلاً للعظمة .
يكن أهلاً لكرهكم ، وما حبكم إلاّ
شهيّة المريض ، الذي أشد ما يشتهيه
هو ذاك الذي يزيد من دائه . ومن يعتمد
على الهوى منكم إنما يسبح بزعانف من رصاص
ويحتطب السنديان بعيدان من قصب . أثقة بكم ، قاتلتكم الآلهة ؟
تغيّرون رأيكم كل دقيقة ،
فتدعون نبيلاً ذاك الذي كان الآن موضع كرهكم ،
وحقيراً ذاك الذي كان اكليل غاركم . ما الذي جرى
حتى رحتم في اماكن مختلفة من المدينة
ترفعون العقيرة ضد الشيوخ الأفاضل ، وهم الذين ،
بعد الآلهة ، فرضوا الخوف عليكم ،
وإلاّ لأكلتم بعضكم بعضاً ؟ ما الذي يطلبون ؟
منينيـــــوس : القمح بالسعر الذي يقررونه . يقولون
ان المدينة مخزونة بالقمح .
مارسيـــــوس : قاتلتهم الآلهة ! يقولون !

انهم يجلسون الى الموقد ، ويزعمون معرفة
ما يجري في الكابتول : من الصاعد ،
ومن الموفّق ، ومن المنتكس . يتحيزون لفئة دون أخرى
ويتخرّصون بزواج هذا من تلك ، رافعين من شأن بعض الأحزاب
وحاطّين من قدر التي لا تحوز رضاهم
الى ما دون نعالهم المرقعة . يقولون ان ثمة من القمح كفاية !
ليت الأشراف يتخلّون عن رأفتهم
ويأذنون لي بإعمال سيفي ، لأقمت
من أشلاء آلاف العبيد هؤلاء ركاماً
بعلوّ ما يبلغه رمحي المقذوف .

منينيـــــوس : لا بأس ، لقد كاد هؤلاء يقتنعون تماماً ،
فهم قد ينقصهم الكثير من العقل
إلا أنهم في غاية الجبن ، ولكن ، أرجوك ،
ماذا تقول الجماعة الأخرى ؟

مارسيـــــوس : تفرّقت ، لعنتها الآلهة !
قالوا انهم جياع . راحوا يتنهدون امثالاً ـ
« الجوع يهدم جدران الحجر » ، « لا بد للكلاب من أكل » .
« خلق الطعام للأفواه » ، « ليس للأغنياء فقط
ترسل الآلهة القمح » ـ بمثل هذه النّتف
راحوا ينفثون شكاواهم . وعندما استجيب لهم ،
ونالوا التماسهم ، على غرابته ـ
وانه ليفطر القلب من كل ذي محتدٍ ،
ويشحب الوجه من السلطة الجريئة ـ قذفوا بقبعاتهم
كأنهم يريدون تعليقها على قرون القمر ،
وهم يصرخون بحقدهم .

منينيـــــوس : ما الذي نالوه ؟

مارسيـــــوس : خمسة تريبونات+ للدفاع عن حِكَمِهم السوقية

(+) التريبون في الأصل هو شيخ أو ممثل العشيرة .

ينتخبونهم بأنفسهم . أحدهم يونيوس بروتوس ،
والآخر سسنيوس فيلوتس ، ولا ادري من - إي والله !
لكان على الطغام أن يطيحوا بأعالي المدينة
قبل ان ينالوا ذلك مني . على مرّ الزمن
لسوف ينالون من ذوي السلطان ، ويطرحون مواضيع اكبر
يتناقش فيها الثائرون

منينيــــوس : غريب .

مارسيــــوس : عني بكم ، الى بيوتكم، ايتها المِزَق !

يدخل رسول ، على عجل

رســـــول : اين كايوس مارسيوس ؟

مارسيــــوس : هنا . ما الأمر ؟

رســول : الخبر يا سيدي هو أن الفولسيين قد شهروا السلاح .

مارسيوس : رائع ! ستكون لنا اذن واسطة للتخلّص
من الزائدين العفنيـن لدينا . انظروا ! كرام شيوخنا .

**يدخل كومنيوس، وتيطوس لارتيوس، وشيوخ آخرون،
ومعهم يونيوس بروتوس وسيسنيوس فيلوتس.**

شيخ أول : مارسيوس ، صحيح ما أخبرتنا به مؤخراً :
ان الفولسيين قد شهروا السلاح .

مارسيــــوس : لديهم قائد -
تولس اوفيديوس - سيمتحنكم أي امتحان .
إني آثم اذ أحسده على نبله ،
ولو كنت غير ما أنا ،
لتمنيت فقط ان أكونه هو .

وفي التاريخ الروماني كان « تريبون الشعب » منذ سنة ٤٩٤ ق . م . أشبه بقاضٍ ينتخبه الشعب لحمايته من اضطهاد الاشراف ، وللدفاع عن حرياته ضد محاولات مجلس الشيوخ أو القناصل الذين يتولّون السلطة . وكان لشخص التريبون دائماً حصانة خاصة . كان للشعب أولاً اثنان من التريبونات ، ثم أصبح له خمسة ، وزاد العدد في النهاية الى عشرة .

كومنيـــــوس : لقد قاتلتما وجهاً لوجه .

مارسيـــــوس : لو وقع العالم نصفاً على نصف ، وكان هو
من جماعتي ، لتمردت ، لأجعل حروبي عليه دون غيره . انه أسد
يزهيني أن أتصيده !

شيخ أول : اذن ، ايها الكريم مارسيوس ،
رافق كومنيوس الى هذه الحروب .

كومنيـــــوس : انه وعدك السابق .

مارسيـــــوس : اجل يا سيدي .
وإني لمقيم عليه . تيطوس لارتيوس ،
لسوف تراني مرة أخرى أضرب وجه تولس .
ماذا ؟ هل تخشبت ؟ أتقف جانباً ؟

تيطـــــوس : لا يا كايوس مارسيوس .
سأتكيء على عكاز ، وأقاتل بالآخر ،
قبل أن أتخلّف في هذا الصراع .

منينيـــــوس : يا أصيل النسب !

شيخ أول : رافقونا الى الكابتول ، حيث أعلم
أن صحبنا الكرام في انتظارنا .

تيطـــوس (لكومنيوس) : سر بنا .
(لمارسيوس) : اتبع كومنيوس : ونحن نتبعك . ،
فأنت الأهل للأولوية.

كومنيـــــوس : يا مارسيوس النبيل !

شيخ أول : (للمواطنين) : الى بيوتكم ، هيا ! اذهبوا !

مارسيـــــوس : لا ، بل فليتبعونا .
لدى الفولسيين قمح كثير . خذوا هذه الجرذان اليهم
لتقضم أهراءهم . ايها المتمردون الموقرون ،

إن شجاعتكم لتتبدّى على خير ما تكون* ! أرجوكم ،
اتبعونا .

المواطنون يتفرقون انسلالاً . يخرجون جميعاً .
فيما عدا بروتوس وسيسنيوس .

سسنيـــوس : هل رأيت إنساناً اشد كبرياء من مارسيوس هذا ؟

بـــروتس : لا مثيل له .

سسنيـــوس : عندما انتُخبنا تريبونات للشعب ـ

بروتـــوس : أرأيت الى شفته وعينيه ؟

ســـنيوس : وتعليقاته الجارحة .؟

بروتـــوس : اذا انفعل ، فإنه لن يتورع عن الهزء حتى من الآلهة .

ســـنيوس : والسخرية حتى من حشمة القمر++

بـــروتس : ألا التهمته الحروب الوشيكة ! لقد زادت
كبرياؤه عن حدها لشدة بأسه وشجاعته .

ســـنيوس : رجل طبيعته كهذه ،
اذ يزهو بالنجاح يحتقر
الظلّ الذي يطؤه عند الظهيرة . ولكن يدهشني
أن وقاحته تتحمّل ان يكون مأموراً
لكومنيوس .

بـروتـوس : الشهرة التي يهدف اليها ـ
والتي يتحَلّى بها منذ زمن ـ لن يجد لها
حفاظاً ، أو تحقيقاً ، خيراً من
مرتبة دون الأولى : فكل مسعى خائب
سيُجعل تقصيراً من القائد ، وإن أبلى
أقصى ما يستطيعه انسان من بلاء : ولسوف يصيح
ذوو الرأي الطائش عندها عن مارسيوس :

(*) يقولها ساخراً اذ يراهم يأخذون في الانسلال من المكان .

(++) المقصود ، بالطبع ، ربة القمر ديانا ، آلهة العفاف .

« يا ليته هو الذي تولى الأمر ! »

ســـــنيوس : وفضلاً عن ذلك ، اذا سارت الأمور على ما يرام
فإن الرأي العام ، وهو المتعلّق بمارسيوس ،
سيجرّد كومنيوس من جداراته .

بـــــروتوس : والنتيجة ،
فإن نصف أمجاد كومنيوس ستُنسب الى مارسيوس ،
وإن لم يكسبها مارسيوس : وكل اخطاء كومنيوس
ستكون امجاداً لمارسيوس ، وإن لم يكن
في الواقع أهلاً لأي منها .

ســـــنيوس : لنذهب ونسمع .
كيف يُنجز الأمر ، وعلى أي نحو ،
فيما عدا شذوذ طبعه ، سيتصرف
في المهمة الحاضرة .

بـــــروتوس : لنذهب .

يخرجان.

المشهـــد الثانـــي

في كريولي. مجلس الشيوخ

يدخل تولس أوفديوس وبعض الشيوخ

شيخ أول : رأيك اذن ، يا أوفديوس.
هو أن أهل روما مطلعون على مشاوراتنا
ويعلمون بما نخطّط ؟

أوفديـوس : ألا ترى ذلك معي ؟
هل فكّرنا بشيء في هذه الدولة
واستطعنا دفعه الى فعل مجسّد قبل أن تفلح
روما باحباطه ؟ لم تمض أربعة أيام
منذ أن سمعت من هناك . هذه هي الكلمات :
أعتقد أن الرسالة معي ، هنا . أجل ، ها هي :
(يقرأ) « لقد جنّدوا جيشاً ، ولكن لا يُعلم
أهو ضد الشرق أم الغرب . القحط عظيم .
والناس في عصيان ، ويشاع
أن كومنيوس ، ومارسيوس عدوُّك العتيد ـ
وروما تكرهه أشد مما تكرهك ـ
وتيطوس لارتيوس ، وهو من أشدّ الرومان بأساً وشجاعة ،
هؤلاء الثلاثة يقودون هذا الجيش
حيثما كانت وجهته ـ والأرجح أنها انتم .

فتدبروا الأمر » .

شيخ أول : جيشنا في الميدان .
ما أثرنا قط شكّا إلا وكانت روما مستعدة
لجوابنا .

أوفـديوس : لا ، ولم تستسخفوا
التكتّم بخططكم الكبرى حتى
تكشف عن نفسها مجبرة ، ويظهر أنها
تبدّت لروما وهي قيد التخطيط ! والكشف
سيقصر بنا عن غايتنا ـ التي كانت
اخضاع عدة مدن وروما لم تكد
بعد تعلم أننا قد تحركنا !

شيخ ثـانٍ : يا أوفديوس النبيل ،
تولَّ القيادة ، وأسرع الى كتائبك .
اتركنا وحدنا لحراسة كريولي .
فاذا حاصرونا ، تعال بجيشك
للنجدة ، ولكنني أظن انك ستجد
أنهم لم يتهيأوا لنا .

أوفديـوس : آ ، لا تشكّ في ذلك .
اني اتحدث عن يقين ، بل ، وأكثر من ذلك ،
فإن بعض فصائل جيشهم طفقت تتقدم ـ
وباتجاهنا فقط . اني اترككم يا سادة .
اذا اتفق والتقينا أنا وكايوس مارسيوس
فقد اقسمنا لنستمرّن في الضراب
الى أن يكلّ واحد منا .

الجميـع : أعانتك الآلهة !

اوفديـوس : وأبقتكم في سلام !
شيخ أول : مع السلامة .

شيخ ثـانٍ : مع السلامة.

الجميــع : وداعاً ، مع السلامة .

(يخرجون)

المشــــهد الثــالــث

روما. غرفة في منزل مارسيوس

تدخل فولومنيا وفرجيليا. تجلسان على مقعدين منخفضين، وتخيطان.

فولومنيــا : أرجوك يا ابنتي ، غنّي . أو عبرّي عن نفسك بمرح أشد . لو كان ابني زوجي ، لأَبَحْتُ لنفسي أن أفرح بغياب يكسب فيه الشرف اكثر مما أفرح بعناقه في فراش يظهر فيه غاية الحبّ . يوم كان طريّ العود ، ووليد رحمي الوحيد ، ويوم جعل الصّبا مع الحسن ينتزع الانظار كلها نحوه ، يوم لم تكن أمّ ، لو راح الملوك يترجّونها نهاراً بطوله ، لتبيعه ساعة واحدة لا تراه فيها ، اذ حسبت كيف أن الشرف يليق بفتى كهذا ، وأنه لم يكن ليفضل صورة معلقة على جدار ان هو لم تحرّكه دواعي الشهرة ، كان يسرني أن أدعه يطلب الخطر حيثما قد يجد الشهرة ، لحرب عاتية أرسلته ، عاد منها مكلّل الجبين بالسنديان . قسماً يا ابنتي ما وثبتُ فرحاً عندما سمعت أول مرة أنه مولود فحل اكثر ما فعلت عندما رأيته أول مرة يثبت أنه رجل فحل .

فرجيــليا : ولكن لو مات في الواقعة ، يا سيدتي ؟ .

فولومنيــا : لكان الكلام عن حسن بلائه هو ولدي ، ولكنت وجدت في ذلك نسلاً لي . فلأعترف لك باخلاص : لو أنّ لي عشرةَ أبناءٍ كلُّهم في حبي سواسية ، وكلُّهم عزيز عليّ كقرّة عينك وعيني مارسيوس ، لآثرت أن أرى تسعة منهم يموتون بنبل من أجل وطنهم ، على واحدٍ يستغرق في شهواته دونما فعل .

تــدخل وصيفــة

وصيفـــة : سيدتي ، السيدة فاليريا جاءت لزيارتك .

فرجيليا : التمس اليك أن تأذني لي بالانسحاب .

فولومنيا : مستحيل !
يخيّل إليّ أني اسمع هناك طبل زوجك ،
وأراه يقبض على أوفديوس من شعره
والفولسيون يتجنبونه كما يتجنب الاطفال دبّاً ،
واني لأراه يخبط بقدمه هكذا ، صائحاً :
« هلمّوا يا جبناء ! بالخوف حبلت بكم امهاتكم ،
وان تكونوا قد وُلدتم بروما ! » جبينه الدامي
يمسحه بيد مدرّعة ، وينطلق
كحصّاد التزم بحصاد الحقل كله ،
أو يفقد أجره !

فرجيليا : جبينه الدامي ! آه جوبيتر ، لا دم !

فولومنيا : ابعدي يا بلهاء ! انه لأليق بالرجل
من ذهب يوشّي ضريحه . وان نهدي هكيوبة [+]
اذ كانت ترضع هكتور ، ما بانا أجمل من جبهة هكتور
حين راحت تبصق الدم
على سيف الاغريقي ، ازدراء به . قولي لفاليريا .
اننا نرحب بها .

(تخرج الوصيفة)

فرجيليا : ألا وقت السماء سيدي من أوفديوس وقسوته !

فولومنيا : بل انه سيضرب رأس اوفديوس دون ركبته ،
ويدوس على عنقه .

تدخل فاليريا مع حاجب والوصيفة

فاليريا : ايتها السيدتان ، نهاراً سعيداً لكما .

فولومنيا : أهلاً بالسيدة الحلوة .

فرجيليا : يسرني أن أرى سيادتك ،

(+) هكيوبة زوجة فريام ، ملك طروادة . والاغريقي الذي قتل ابنها البطل هكتور هو أخيل ، فكان ذلك ايذاناً بسقوط طروادة .

فاليريـــا : كيف حالكما ، كلتيكما ؟ قعيدتا البيت ، ولا شك ! ما هذا الذي تخيطانه ؟ نقشة جميلة ، لعمري ! كيف حال ابنك الصغير ؟ .

فرجيـــليا : اشكر لطفك ، بخير ، سيدتي .

فولومنيـــا : يفضّل رؤ ية السيوف وسماع الطبول ، على النظر الى معلمه .

فاليـــريا : الابن سر أبيه ، لا ريب . قسماً انه لصبّي جميل جداً . يوم الأربعاء رحت أنظر اليه نصف ساعة باستمرار : له وجه شديد العزم . رأيته يركض في اثر فراشة مذهبة ، وعندما أمسك بها أطلقها ، ثم راح في إثرها مرة اخرى ، ثم عثر ووقع ، فنهض ، وامسك بها ثانية . ولست أدري ان كانت وَقْعتُه قد أغضبته أو أي شيء آخر ـ كيف صرّ بأسنانه ومزّقها ! أي والآلهة ، فتفتها !

فولومنيـــا : احدى حالات أبيه !

فاليـــريا : ولد نبيل ، حقاً .

فرجيليـــا : سخطة ، يا سيدتي !

فاليـــريا : هيا ، ضعي عنك ابرتك . سأجعلك تلعبين معي دور ربة البيت الكسول هذا العصر .

فرجيليـــا : لا يا عزيزتي . لن أخرج .

فاليـــريا : لن تخرجي ؟

فولومنيـــا : بل ستخرج ، ستخرج .

فرجيليا : لا ، حقاً ، عن اذنك . لن اجتاز عتبة الباب الى ان يعود سيدي من الحروب .

فاليـــريا : أف ، انك لتحبسين نفسك عن غير عقل . تعالي ، عليك بعيادة السيدة الطيبة طريحة الفراش .

فرجيليـــا : سأدعو لها بالشفاء العاجل ، وأعودها بصلواتي . ولكني لا أستطيع الذهاب اليها .

فولومنيا : لماذا ، أرجوك ؟

فرجيليـــا : لا ضنّاً بالجهد ، ولا شحّاً في الحب .

فاليـــريـا : تريدين ان تكوني بنلوب[+] اخرى : ولكن يقولون ان الغَزْل الذي غزلته كله في غياب يولسيس انما ملأ ايثاكا بالعث ! هيا . اتمنى لو ان نسيجك لا يخلو من حسّ ، كاصبعك ، عسى ان تكفّي عن وخزه رأفة به . هيا ، ستأتين معنا .

فرجيليـــا : لا يا سيدتي ، اعذريني . لن آتي .

فاليريــا : والله ان جئت معي ، رويت لك أنباء رائعة عن زوجك .

فرجيليـــا : لا أنباء بعد ، يا سيدتي .

فاليـــريـا : وايم الحق ، لست بهازلة ، بلغت منه أنباء الليلة الماضية .

فرجيليـــا : أحقاً ؟ .

فاليـــريـا : نعم . اني جادة . سمعت احد الشيوخ يتحدث بها . وهي : أن الفولسيين حرّكوا جيشاً لهم ، فخرج اليه القائد كومنيوس بقسم من جيشنا الروماني : أما زوجك وتيطوس لارتيوس فقد استحكما أمام مدينتهم كريولي . وهم لا يشكّون في الغلبة ، وفي جعلها حرباً وجيزة . هذا صحيح ، قسماً بشرفي . ولذا ، أرجوك ، هلمّي معنا .

فرجيلـــيا : اعذريني ، ايتها السيدة الكريمة . فأطيعك بعد ذلك في كل شيء .

فولومنيـــا : دعيها وشأنها . في حالتها هذه ، ستفُسد علينا مرحنا .

فاليـــريـا : حقاً ، صحيح . وداعاً اذن . تعالي ، سيدتي الحلوة . أرجوك يا فرجيليا، وقارك هذا اخرجي عنك به ، ورافقينا .

فرجيليـــا : بكلمة واحدة ، سيدتي ، لا . بل يجب ألا أخرج . أرجو لكما غاية المرح .

فالـــيريـا : طيّب ، وداعاً ، اذن .

(+) بنلوب ، زوجة يولسيس (أوديسيوس) ملك ايثاكا ، وبطل « الاوذيسة » . في اثناء غيابه الطويل في حروب طروادة ، حاصرها العديد من الخطّاب بالحاح ، فخدعتهم بقولها ان عليها ان تفرغ من صنع كفن كبير لحميها الشيخ لايرتيس قبل ان تقرر أمرها . فكانت في النهار تعمل في صنع الكفن ، وفي الليل تنقض ما صنعته في النهار . وهكذا استطاعت ان تصدّ عنها خطّابها الى ان عاد زوجها .

المشهـد الـرابـع

أمام مدينـة كريولـي

يدخل مارسيوس ، وتيطوس لارتيوس ، وضباط ، وجنود ، مع طبل وأعلام

مارسيوس : ذاك خبر قادم من بعيد : أراهن على أنهم التقوا .

لارتيوس : حصاني لحصانك ، لم يلتقوا .

مارسيوس : قبلت .

لارتيوس : موافق .

يدخل رسول

مارسيوس : قل لي ، هل التقى قائدنا بالعدو ؟

رسول : كلاهما يرى الآخر . ولكنهما لم يتكلما بعد .

لارتيوس : اذن، حصانك الفاخر لي .

مارسيوس : اشتريه منك .

لارتيوس : كلا ، لا أبيعه ولا أهبه . انما أعيره لك
لنصف مئة من السنين . ادع المدينة للاستسلام .

مارسيوس : كم تبعد هذه الجيوش ؟

رسول : في حدود ميل ونصف .

مارسيوس : اذن سنسمع أبواقهم ، كما سيسمعون أبواقنا .
والآن ، يا مارس ، رجائي ، ان تلهمنا السرعة في العمل
عسى أن نسير من هنا بسيوف دامية .
لنسعف أصدقاءنا في الميدان ! هيا . اصدح ببوقك !

(يصوّتون لحن المفاوضة . يدخل في أعلى الأسوار شيخان مع رجال آخرين) .

مارسيــوس : تلوس أوفديوس ، هل هو ضمن اسواركم ؟

شيخ أول : كلا ، ولا من أحد يخافكم أقلّ منه ،
وهو أقل من القليل . (طبول من بعيد) اسمعوا ! طبولنا
تستقدم شبابنا ! سنحطم أسوارنا
ولن نجعلها تنيخنا وراءها . وأبوابنا ،
وانْ بدت مغلقة ، انما ثبّتناها بأقصاب :
ولسوف تنفتح من تلقاء نفسها . (ابواق من بعيد)
اسمعوا ، من بعيد !
هناك أوفديوس . أصغوا ، أي بلاء
يبليه في جيشكم المشقوق شقّين !

مارسيــوس : آ ، انهم عليها !

لارتيــوس : فليكن في ضجيجهم ارشاد لنا . يا رجال ، عليكم بالسلالم !

يدخل جيش الفولسيين

مارسيــوس : انهم لا يخشوننا ، ويخرجون من مدينتهم ،
ضعوا الآن تروسكم أمام قلوبكم ، وقاتلوا
بقلوب أصلب من التروس . تقدم ، ايها الشجاع تيطوس .
انهم يزدرون بنا أكثر مما نظن ،
وانّي لأتفصّد عرقاً سخطاً لذلك . هلموا يا رفاقي :
ومن يتأخر منكم ، سأحسبه فولسياً
وأشعره حدّ سيفي !

نفير، وقتال. يتقهقر الرومان الى خنادقهم
يعود مارسيوس، وهو يشتم.).

مارسيــوس : ألا حلّت بكم أوباء ريح الجنوب كلها ،
يا عار روما ! يا قطيعاً من ـ ألا كسيتم
دمامل وطواعين ، حتى ليمقتونكم

على أبعد مما يرونكم ، ويعدي بعضكم بعضاً
ولو على بعد ميل عكس الريح ! يا أرواح اوزّ
حملت أشكال الرجال ، كيف هربتم
من عبيد بوسع القرود أن تهزمهم ، يا لبلوتو والجحيم !
كلكم من الخلف جريح ، بظهور حمراء ووجوه صفراء
من فرار وفزع ورِعْدة ! اصطلحوا ، وشددوا الهجوم
والاّ ، قسماً بنيران السماء ، تركت العدو
وجعلت حروبي عليكم . هيّا ، تقدموا ،
واذا ثبتّم ، هزمناهم الى زوجاتهم ،
كما هم تبعونا الى خنادقنا .

(نفير آخر ، وقتال ، يفرّ الفولسيون ،
ومارسيوس على أعقابهم حتى أبواب المدينة).

مارسيــوس : ها الأبواب مفتوحة الآن ! كونوا لي خير سند :
فالقدر يفتح مصاريعها للاحقين
لا للهاربين . انظروا اليّ ، واقتدوا بي .
(يدخل الأبواب).

جندي أول : حماقة صرف . لا عليّ .

جندي ثانٍ : ولا عليّ . (تغلق الأبواب على مارسيوس)

جندي أول : اترون ، لقد قفصوه !

الجميــع : الى حيث نهايته ، ولا ريب . (النفير مستمر).

(يدخل ثانية تيطوس لارتيوس).

لارتيــوس : ما الذي جرى لمارسيوس ؟

الجميــع : قتل يا سيدي ، ولا شك .

جندي أول : لاحق المنهزمين على أعقابهم
ومعهم داخل أبوابهم . واذا هم فجأة

يصفقون المصاريع : انه بمفرده
يجابه المدينة كلها .

لارتيـــوس : ما أنبلك من رجل !
انه بملء حواسه اجرأ من سيفه الذي لا يحسّ ،
واذا ما انحنى سيفه ، انتصب هو ! لقد بقيت يا مارسيوس :
ولو كان ثمة جوهرة حرّة بقدر حجمك ،
لما كانت ثمينة مثلك . لقد كنت جندياً
كالذي تمناه كاتو(×) ـ شرساً رهيباً
بالضراب فقط . ولكن بنظراتك الجهمة
وقصف صوتك كالرعد
جعلت اعداءك يرجفون ، كأنما الدنيا
محمومة ترتعد .

(يدخل مارسيوس، دامياً، يهاجمه العدو).

جندي أول : انظر ، سيدي !

لارتيـــوس : آه ، انه مارسيوس !
لننقذه ، او نصمد مثله .

(يقاتلون، ويقتحمون المدينة بأجمعهم).

(×) الاشارة الى كاتو الاكبر (٢٣٤ ـ ١٤٩ ق . م .)
انما هي جزء من تعليق المؤرخ بلوتارك على كريولانس
كجندي . وقد نسبها شكسبير الى احد معاصري القائد ، رغم
ان كريولانس سبق كاتو بحوالي ٢٥٠ سنة !

المشـــهد الخامـــس

شارع في كريولـــي

يدخل بعض رجال الرومان، ومعهم غنائم

رومانـي أول : هذا   سأحمله الى روما .

روماني ثـانٍ : وهذه سأحملها أنا .

روماني ثالث : اللعنة عليها ! حسبتها فضة!

(النفير ما زال مستمراً من بعيد)

(يدخل مارسيوس وتيطوس لارتيوس، مع بوّاق)

مارسيـــوس : انظر الى هؤلاء المتسكيعن الذين يثمنون شرفهم
بدرهم مصدوع ! وسائد ، ملاعق رصاص ،
حدائد ذات الفلس ، قمصان يدفنها الجلادون(×)
مع مرتديها ، هذا ما يتخاطف هؤلاء العبيد المناكيد
وهم لمّا يفرغوا من القتال . تباً لهم !
اسمع ! يا لضوضاء ذلك القائد ! علينا به !
هناك أوفديوس ، محطّ الحقد من قلبي ،
يخرق صحبنا الرومان خرقاً : اذن ، ايها الباسل تيطوس ،

(×) من العادات القديمة ان للجلاد الحق في اخذ ملابس ضحيته .

خذ الاعداد المناسبة لاحتلال المدينة ،
فيما أسرع أنا ، مع ذوي النخوة والعزيمة ،
الى نجدة كومنيوس .

لارتيـــوس : سيدي الكريم ، انك تدمَى .
وما قمت به كان أعنف من أن تعود
الى جولة أخرى من القتال .

مارسيـــوس : اياك ومدحي ، يا سيدي .
فما حميت بعد بما فعلت . وداعاً .
ان الدم الذي ينقط مني دواء لي ،
لا خطر علي . هكذا سأظهر
لأوفديوس ، وأقاتل .

لارتيـــوس : أرجو أن تقع ربة الدهر الحسناء
في غرامك ، وأن تضلل عنك
مفاتنها الرائعة سيوف خصومك !
كان التوفيقُ رفيقَك ، أيها الشجاع !

مارسيـــوس : ورفيقَك أيضاً ،
كالذين تخصهم ربة الدهر بالعلاء ! وداعاً .

لارتيـــوس : ما اكرمك يا مارسيوس !
(للبواق) اذهب ، وانفخ في بوقك في ساحة السوق
وادع هناك حكّام المدينة
حيث سنعلن لهم عن قصدنا . هيا !

المشـــهـد الســـادس

قرب معسكر كومنيوس

يدخل كومنيوس، كمن يتقهقر، ومعه جنود.

كومنيوس : خذوا نفساً ، ايها الصحب . أحسنتم قتالاً .
لقد فعلنا كما يليق بالرومان : لا حمقى في الصمود
ولا جبناء في التقهقر . واذ كنا نضرب
سمعنا على تقطع ما تحمله هبات الرياح
من هجمات أصدقائنا . آلهة روما ،
وجِّهي حظوظهم بما نتمى لأنفسنا ،
عسى أن يلتقي كلا جيشينا بجباه باسمة
فيقدّما لك ضحايا الشكر والامتنان !

يدخل رســـول

ما وراءك ؟

رســـول : خرج أهالي كريولي
والتحموا مع لارتيوس ومارسيوس في معركة :
وقد رأيت جماعتنا يردّون الى خنادقهم ،
ثم جئت اليكم

كومنيوس : لئن تقل صدقاً
فإن قولك ليس بخير . منذ متى كان ذلك ؟

رســـول : منذ ساعة ونيف ، يا مولاي .

كومنيـوس : ولكن المسافة أقل من ميل . وقد سمعنا طبولهم منذ هنيهات .
كيف استطعت ان تقضي ساعة في قطع ميل واحد
وتتأخر هكذا بأنبائك ؟

رســـول : جواسيس الفولسيين
طاردوني ، فاضطررت الى الدوران
ثلاثة أميال أو أربعة . وإلّا لكنت يا سيدي
أتيتكم ببلاغي منذ نصف ساعة .

كومنيـوس : من هناك ،
ذاك الذي يبدو كأنه مسلوخ الجلد ؟ يا للآلهة !
ان له طابع مارسيوس .
ولقد رأيته كذلك من قبل .

مارسيوس (من الداخل) : هل جئت متأخراً ؟

كومنيـوس : لا يميّز الراعي الرعد من الدف
خيراً مما أميزّ صوت لسان مارسيوس
من كل انسان أصغر منه .

يدخل مارسيـوس

مارسيـوس : هل جئت متأخراً ؟

كومنيـوس : نعم ، ان لم تجيء بدم الآخرين
بل مسربلاً بدمك أنت .

مارسيوس : آ ، دعني أعانقك
بذراعين سليمتين كيوم تزوجت ،
وبقلب مرح كما كان يومها !

كومنيوس : يا زهرة المحاربين ،
كيف الأمر مع تيطوس لارتيوس ؟

مارسيوس : كما هو مع رجل تشغله المراسيم :
حاكماً البعض بالاعدام ، والبعض بالنفي ،
قابلاً فدية هذا ، راحماً ذاك ، مهدداً الآخر ،
قابضاً على كريولي باسم روما
كمن يمسك بسلوقيّ يبصبص في الرباط
ليطلقه كما يشاء .

كومنيوس : اين ذلك العبد الذي
أخبرني بأنهم هزموكم الى خنادقكم ؟
أين هو ؟ نادوا به هنا .

مارسيوس : دعه وشأنه .
لقد أنبأك بالحقيقة : لولا نبلاؤنا ،
فإن المراتب العامة ـ قاتلتهم الآلهة ! ـ يريدون تريبونات ! ـ
ما تجنب فأر هرّاً كما راوغوا
أوغاداً أحطّ منهم .

كومنيوس : ولكن كيف تغلبت ؟

مارسيوس : ايكفي الوقت للرواية ؟ لا أظن .
اين العدو ؟ هل أنتم سادة الميدان ؟
وإلاّ ، ففيم توقفكم الى ان تكونوا السادة ؟

كومنيوس : مارسيوس ،
قاتلنا تحت الأذى ،
فتراجعنا لتحقيق غايتنا .

مارسيوس : أين يقع جيشهم ؟ أتعلم على أي جانب
وضعوا رجال ثقتهم ؟

كومنيوس : تخميني يا مارسيوس
هو أن فيالق المقدمة لديهم من رجال الانتيات ،
وهم الأهل لأعظم ثقتهم . يقودهم أوفديوس ،

القلب من أملهم .

مارسيـوس : أتوسل اليك
بكل المعارك التي قاتلنا فيها ،
بالدم الذي سكبناه معاً ، بالأيْمان
التي أقسمناها لنبقى صديقين ، أن تضعني
وجهاً لوجه أمام أوفديوئس ورجاله الانتيات ،
وأن لا ترجىء ما نحن فيه ، بل
نملأ الجو سيوفاً مرفوعة وسهاماً
ونؤكد فوزنا هذه الساعة بعينها .

كومنيـوس : لكنت أتمنى
لو انك تقتاد الى حمام رخيّ
وتمسح بالزيوت والبلاسم ، ولكنني لا اجرأ أبداً
أن أردّ لك طلباً : خذ من تشاء ممن
هم أفضل الرجال في عونك على فعلك

مارسيوس : ما هم الا أولئك الذين هم
أشدّهم ارادة . ان كان بينكم ـ
ومن الأثم أن أشك في ذلك ـ من يهوى هذا الطلاء
الذي ترونني مضرّجاً به ، أو يخشى
سوء الذكر اكثر مما يخشى على شخصه ،
أو يحسب ان الموت الجريء خير من الحياة الفاسدة ،
فليتفضل وحده ، او كل من يشعر مثله ،
ويشهر سيفه ، تعبيراً عن ميله ،
ويتبع مارسيوس .
(يصرخون جميعاً ويشهرون سيوفهم، ويرفعونه على اكتافهم، ويقذفون بقبعاتهم عالياً)
أأنا وحدي ؟ أتجعلون سيفاً مني ؟
اذا لم تكن المظاهر هذه خارجية وحسب ، أي منكم
لا يعدل أربعة فولسيين معاً ؟ ما من أحد فيكم

إلا وبوسعه أن يحمل بوجه أوفديوس العظيم
ترساً صلباً كترسه . ولكن لا بد لي ان اختار عدداً معيناً .
مع شكري لكم جميعاً . أما البقية فلسوف تتحمل العبء في قتال آخر
كما تقتضي الظروف . (لكومينوس) أرجوك ، سر ،
وأربعة سينفذون أوامري وينتقون
أنسب الرجال .

كومنيـوس : سيروا ، ايها الصحب .
برهنوا صحة ما أبديتم ، وأعدكم
بتقاسم الغنائم كلها معنا(*)

(يخرجون)

(*) كومنيوس أقل مثالية من كريولانس ، ويعرف جنوده خيراً منه ، ولذا يعدهم بالغنائم حثاً لهم !

المشهـــد الســابع

عند أبواب مدينة كريولي

تيطوس لارتيوس، بعد أن أقام الحرس على كريولي، يسير مع الطبول والأبواق نحو كومنيوس وكايوس مارسيوس، ويدخل وبرفقته ملازم، وجنود آخرون ودليل.

لارتيوس : هكذا ، أقيموا الحراسة على الأبواب . نفذوا واجباتكم
كما قرّرتها . واذا ارسلت اليكم ، ابعثوا
بكتائب المئة تلك لنجدتنا . أما البقية فتكفي
لسيطرة وجيزة . اذا خسرنا المعركة
فلن نستطيع الحفاظ على المدينة .

ملازم : لا تخشَ على عنايتنا ، يا سيدي .

لارتيوس : اذهب ، واغلق أبوابك دوننا .
تعال يا دليل . قُدنا الى معسكر الرومان .

(يخرجون)

المشهـــد الثـــامـــن

ميدان المعركة بين معسكري الرومان والفولسيين
نفير كما في المعركة. يدخل من طرفين متقابلين
مارسيوس واوفديوس[×].

مارسيـوس : لن أقاتل أحداً الاّك . لأنني أكرهك
اكثر من ناقض لوعده .

اوفديوس : كرهنا متماثل .
ليس في افريقيا ثعبان امقته
اكثر من شهرتك المحسودة . ثبّت قدمك !

مارسيـوس : من يتزحزح أولاً فليمت عبداً للآخر ،
ولتسخطه الآلهة بعد ذلك !

اوفديـوس : ان أنا هربت يا مارسيوس ،
صح في اثري صيحة الصياد بالأرنب ، .

مارسيوس : في هذه الساعات الثلاث ، يا تلوس ،
قاتلتُ بمفردي وراء أسوار مدينتك كريولي ،

(×) يذكرنا هذا المشهد بمنازلات الأبطال في الملاحم ، كالالياذة والأوذيسة وغيرهما . ففي تصوير الملاحم للمعارك نجد ان الصفة الطاغية هي الصفة الشخصية : اي أن جبروت القواد أنفسهم هو الذي يستقطب صراع المعسكرَيْن المتقاتلَيْن .

وفعلت بها ما شئت : هذا الذي تراني
مبرقعاً به ليس دمي . إن تبغِ انتقاماً .
شدّ عزمك لأقصى مداه .

أوفديـوس : حتى لو كنت هكتور[×] بعينه ،
غضب أسلافك الذين تفاخرون بهم ،
فلن تخلص مني هنا .
(يتبارزان، فيأتي بعض الفولسيين لنجدة أوفديوس، يستمر مارسيوس في القتال حتى يكرههم على التقهقر.)

أوفديـوس : (لرجاله) واجباً لا بسالةً تقاتلون ، وما جئتموني بنجدتكم اللعينة إلا بالعار والخجل !

(×) هكتور ، بطل طروادة الشهير . كان يروق للرومان أن يتصوروا أنهم أحفاد الطرواديين عن طريق سلفهم اينياس ورفاقه ، كما يروي الشاعر الروماني فرجيل في ملحمته « الإنيادة » .

المشـــهد التاســـع

المعســـكر الرومانـــي

نفير قتال، ثم تقهقر. نفير آخر. ويدخل من أحد الجانبين كومنيوس مع نفر من الرومان، ومن الجانب الآخر مارسيوس، وذراعه في ضمادة.

كومنيـوس : لو رويت لك ما فعلت اليوم
لما صدقت أنت فعالك. ولكنني سأرويه
حيث الشيوخ يمزجون الدموع بالبسمات،
حيث كبار القوم يصغون ويهزّون الأكتاف
وفي النهاية يَعجبون حيث السيدات يفزعن،
واذ يرتعدن متلذذات، يسمعن المزيد. حيث التريبونات البلداء
(وهم مع الدهماء العفنة يكرهون أمجادك)
سيقولون، رغم ما بقلوبهم، « نحمد الآلهة
على ان لروما جندياً كهذا! »
غير أنك انما جئت الى لقمة من هذا الوليمة،
وقد شبعت طعاماً قبلها(×).
(يدخل تيطوس لارتيوس مع جيشه، عائداً من الملاحقة)

لارتيوس : ايها القائد،

(×) اي أن ما فعلته هنا (في المشهد السابق) ليس إلا لقمة واحدة اذا قيست بالطعام الوفير الذي تناولته بقتالك قبل ذلك في شوارع كريولي.

هذا هو الجواد ، ونحن له السرج .
لو كنت شاهدت ـ

مارسيوس : أرجوكم ، كفى . ان أمي ،
وهي التي من حقها أن تمتدح نسلها ،
تحزنني عندما تثني عليّ . لقد فعلت
كما فعلتم ـ وهذا جل وسعي ، يَحْدو بي
ما حدا بكم ـ وطني .
ومن نفّذ طيب ارادته .
فقد سبق بالفضل فعلي .

كومنيـوس : لن تكون
قبراً لجدارتك . ينبغي لروما ان تعرف
قدر ابنائها : وان هي اخفت فعالك
كان اخفاؤها أسوأ من السرقة ، بل وعيباً عليها .
أو إن هي فرضت الصمت على ذاك الذي
لو أُعلن من ذُرىٰ المدح وشواهقه
لبان قليلاً معتدلاً : ولذا ، أتوسل اليك ـ
دلالة على ما أنت ، لا جزاء على
ما فعلت ـ اسمعني أمام جيشي .

مارسيـوس : إنّ بي لجروحا تتوجع
إن هي سمعت من يذكرها .

كومنيـوس : واذا لم تُذكر فلها تتقيح ازاء العقوق ،
وتداوي نفسها بالموت . من الخيل كلها ـ
وقد غنمنا الأصيل والكثير منها ـ ومن كل
ثمين أحرزناه في هذا الميدان وهذه المدينة ،
نعطيك العُشْر ، لكيما تتسلمه
قبل التوزيع العام ، باختيارك وحده .

مارسيـوس : شكراً أيها القائد .
ولكن لا أقدر على جعل قلبي يرضَىٰ

بأخذ رشوة يُجزَى بها سيفي . اني أرفضها .
وأصرّ على سهمي الذي أشارك به
كل من رأى المعركة .
(نفخ متواصل في الأبواق: يصيحون جميعاً:
«مارسيوس! مارسيوس!» ويقذفون الى
الأعلى بقبعاتهم ورماحهم.)

مارسيوس : هذه الآلات التي تدنّسونها ،
ألا ليتها تصمت الى الأبد ! اذا ما الطبول والأبواق
راحت حتى في الميدان تنافق ، فلتصنع القصور والمدن
كلها من ثناء زائف الوجه ![×]
واذا ما الفولاذ غدا ناعماً نعومة حرير الطفيلي ،
فلنجعل الحرير لباساً في الحروب !
كفى ، أقول لكم ! فلأنني ما غسلت
أنفي الذي نزف ، أو لأنني قهرت رجلاً بائساً هزيلاً ـ
وهنا الكثيرون ممن فعلوا ذاك غير ملحوظين ـ
رحتم تهتفون باسمي
هتافات مغالية .
كأنما يلذّ لي أن تُطعم صغائري
مدائحَ ، توابلُها الأكاذيب .

كومنيوس : متواضع أنت أكثر مما ينبغي ،
وقسوتك على حسن سمعتك اشد من امتنانك
لنا نحن الذين أصدقنا وصفك . حلمك !
ان كنت حانقاً على نفسك ، ألبسناك
أصفاداً كمن ينوي ايذاء نفسه ،
فنناقشك آمنين . ولهذا ، فليكن معلوماً ،
كما لنا هكذا للعالم كله ، ان كايوس مارسيوس
يلبس اكليل الحملة هذه : ورمزاً لذلك

(×) اي : لا عجب ان تقع القصور والمدن تحت تأثير النفاق اذا كان لهذا النفاق ان يفعل فعله حتى في ميدان القتال .

وهبته جوادي الأصيل ، المعروف في المعسكر ،
بكل بديع ملحقاته ، وليدع منذ هذه اللحظة ،
لما حقق أمام كريولي ،
مع هتاف الجيش وتصفيقه جميعاً ،
كايوس مارسيوس كريولانس . ولتحمل
هذا اللقب بشرف أبداً !

(أبواق، وطبول.)

الجميـع : كايوس مارسيوس كريولانس !

كريولانس : سأذهب وأغتسل ،
وعندما ينظف وجهي ستدركون
هل احمرّ حياء أم لا . على كل ، اشكركم .
أريد أن امتطي جوادك ، وأن أتوّج
في كل آن بلقبك الكريم
لأجمل ما تستطيعه قواي .

كومنيوس : والآن ، الى خيمتنا ،
وهناك ، قبل أن نستريح ، سنكتب
الى روما عن نجاحنا ، أما أنت ، يا تيطوس لارتيوس ،
فعليك بالعودة الى كريولي : وأرسل الينا في روما
نخبة القوم ، لنتفاوض معهم
لصالحهم وصالحنا .

لارتيـوس : سأفعل يا مولاي .

كريولانس : بدأت الآلهة تهزأ بي ! فأنا الذي الآن
رفضت أجمل الهدايا الأميرية ، لديّ التماسٌ من
مولاي القائد .

كومنيـوس : اني اجيبك اليه . ما هو ؟ .

كريولانس : لقد نزلت مرة هنا ، في كريولي ،

ببيت رجل فقير . ورأيته اليوم أسيراً .
غير أن أوفديوس كان أمام ناظريّ ،
فطغَىٰ السخط على شفقتي . أرجوك
أن تهب مضيّفي الفقير حريته .

كومنيـوس : ما أروع التماسك !
حتى لو كان ناحر ولدي ، لأجعلنّه
حراً طليقاً كالريح . سرّحه يا تيطوس .

لارتيـوس : مارسيوس ، ما اسمه ؟

كريولانس : نسيت ، وحقِّ جوبيتر ،
انني متعب . اجل ، ذاكرتي متعبة .
أما من خمر هنا .

كومنيـوس : لنذهب الى خيمتنا ،
جعل الدم يجف على محياك ، وآن لنا
أن نُعنىٰ به . هيّا .

(يخرجون)

المشهـــد العاشـــر

نفير، يدخل تلوس أوفديوس مدمًى، مع جنديين أو ثلاثة

أوفـديــوس : أخذوا المدينة !

جندي أول : ستُعاد بشروط حسنة .

أوفـديــوس : شروط !
ليتني كنت رومانياً . لأنني عاجز ،
وأنا الفولسي ، أن أكون ما أنا . . شروط !
أي شروط حسنة تلقاها أية معاهدة
في الجانب المغلوب ؟ خمسَ مرات ، يا مارسيوس ،
قاتلتُك ، وخمس مرات غلبتنيَ ،
وأحسب انك غالبي حتى لو تَجابهنا
كلما أكلنا . وحقِّ العناصر ،
ان أنا لقيته مرة أخرى ذقنا لذقن ،
فهو لي ، أو أنا له : ما عاد في منافستي
ما كان فيها يوماً من شرف . فاذ
كنت أريد سحقه بقوة تعادل قوته ،
سيفاً صادقاً لسيف ، سأباغته على نحو ما ،
فأناله غضباً أو غيلة .

جندي أول : انه الشيطان .

أوفـديـوس : بل هو أجرأ منه ، ولكن ينقصه دهاء . جرأتي تسممت
بتلوّثها به ، وسعياً به
لسوف تخرج عن طورها : فلا نوم ، ولا حرم ،
لا كونه عارياً ، أو مريضاً ، لا هيكل ولا كابيتول ،
لا صلوات الكهّان ولا آوان التضحية ،
لا ولا موانع العنف كلها ، ستحول
بعرفها أو تقاليدها البائرة دوني
ودون حقدي على مارسيوس . حيثما وجدته ،
حتى ولو في البيت ، بحراسة أخي ، فإنني
سأخرق سنّة الضيافة ،
وأغسل يدي الشرسة بقلبه . اذهبوا الى المدينة ،
اطّلعوا على كيفية احتلالها ، ومن هم الذين
يؤخذون رهائن لروما .

جندي أول : ألن تذهب أنت ؟

أوفـديـوس : هناك من ينتظرني في غابة السرو . أرجوكم ـ
انها جنوبيّ مطاحن المدينة ـ ايتوني هناك بكلمة تخبرني
كيف تسير الدنيا ، لكي أغذ السير
على خطوها .

جندي أول : سنفعل يا مولاي .

(يخرجون)

الفصـــل الثـــاني

المشهـــد الأول

روما : مكان عام

يدخل منيوس مع اثنين من تريبونات الشعب، سسنيوس وبروتوس

منيـوس : يقول لي العرّاف إن انباء ستبلغنا هذه الليلة .

بروتـوس : طيبّة أم سيئّة ؟

منيـوس : ليست كما يرجوه الشعب ، لأنهم لا يحبون مارسيوس .

سسنيوس : ان الطبيعة تلقّن الحيوانات معرفة أصدقائها .

منيـوس : ألا قل لي ، ما الذي يحبه الذئب ؟

سسنيوس : الحَمَل .

منيـوس : نعم ، ليلتهمه ، كما تتمنى العوام الجائعة التهام مارسيوس .

بروتـوس : انه حمل وأيما الحق ، ويثغو كالدب !

منيـوس : انه دب وايم الحق ، ويعيش كالحمل . كلاكما رجل شيخ ، اجيباني على شيء أسألكما اياه .

كـلاهمـا : تفضل .

منيـوس : ما السيئة التي تشحّ في مارسيوس ، وليست سخية فيكما ؟

بروتـوس : لا تشحّ فيه سيئة واحدة ، بل هو مخزون بالسيئات كلها .

سسنيوس : سيّما الكبرياء .

بروتـوس : وتفوّقه على الجميع بالتبجّح .

منينـوس : غريب ! أتعرفان حكم الناس عليكما هنا في المدينة ـ. أعني حكم أصحاب الميمنة× ؟

بروتـوس : وما حكمهم ؟

منينـوس : لأنكما تتحدثان عن الكبرياء الآن ـ ألن تغضب ؟

كـلاهمـا : لا بأس ، يا سيدي ، لا بأس .

منينـوس : لن يهمنّي كثيراً ، لأن لصّ سانحة صغيرة يسلبكما قدراً كبيراً من الصبر . ليطلق كلاكما النفس على سجيتها ، ويغضب على هواه ، على الأقل ، قد تجعلان من الغضب هوى ومتعة . أتلومان مارسيوس على كبريائه ؟

بروتـوس : لسنا وحدنا في ذلك ، يا سيدي .

منينـوس : أعرف أن ليس بوسعكما أن تفعلا إلاّ القليل وحدكما . المساعدون كثر ، وإلاّ لكانت أفعالكما حقّاً ضئيلة . ومن ليست له إلا قدرات الأطفال ، لا يستطيع الكثير وحده . تتحدثان عن الكبرياء : ليت الواحد منكما يستطيع ان يدير عينيه نحو مؤخّر عنقه× . ويتفحّص نفسه الكريمة من الداخل ! آه يا ليت !

بروتـوس : ثم ماذا ؟ .

منينـوس : لاكتشفتما زوجاً من قضاة نكدين ، عنيفين ، متكبرين ، تافهين ـ اسمهم الآخر « بلهاء » ، كأي قضاة في روما !

سسنيوس : منينوس ، انت أيضاً يعرفك الناس حق المعرفة .

منينـوس : يعرفني الناس بأنني شريف قُلَّب المزاج ، يحب كأساً من النبيذ الحار لا تخففه قطرة من نهر التيبر . ويزعمون أن بي شيئاً من منقصة هي أنني أحابي صاحب الشكوى الأولى ، وأتسرع شائطاً كعود الثقاب لأتفه الدوافع ، وانني أمرؤ يسامر ردف الليل اكثر من جبين الصباح : ما أظنه أقوله ، واستنفد حقدي

(×) يقصد الأشراف ، الذين يعتبرهم اليد اليمنى للدولة .

(×) كانت هناك حكاية تقول ان كل انسان لديه كيس معلّق أمامه يضع فيه أخطاء جيرانه ، وآخر معلق خلفه ، يخفي فيه اخطاءه .

بأنفاسي . وحين القى اثنين من ساسة الدولة مثلكما ـ وما بوسعي أن أدعو ايا منكما ليكورغس[×] ـ اذا لم يطب شرابكما لحلقي ، قطّبت وجهي عليه . وليس لي ان اقول ان سيادتكما قد احسنتما التعبير عن الأمر ، عندما أجد أن الحمار مركّب في معظم الفاظكما . وان كان عليّ ان ارضى بتحمل الذين يقولون انكما رجلان جادّان محترمان ، ولكنهم يكذبون اشنع الكذب ان هم قالوا لأي منكما ان له وجهاً حسناً . فإن كنتما تريان ذلك في خريطة عالمي الأصغر[××]، فهل يستتبع ذلك أنني أنا ايضاً معروف حق المعرفة ؟ وما الذي تستخلصه ابصاركما العمشاء من هذا الخلق ، ان كنت أنا ايضاً معروفاً حق المعرفة ؟ .

بروتـــس : على رسلك يا سيدي ، نحن نعرفك معرفة جيدة .

منـنيـوس : انتما لا تعرفانني ، ولا تعرفان نفسيكما ، ولا أي شيء آخر . وما تطمحان لرؤية الأناس المساكين يرفعون القبعات لكما ويثنون الرُّكَب . انكما لتستهلكان ضحى جميلاً مفيداً بسماع قضية تقام بين بائعة برتقال[×××] وبائع حنفيات ، ثم تؤجلان مناقشة العشرين فلساً الى جلسة يوم ثانٍ[××××]! وعندما تنظران في أمر ما بين فريق وفريق ، اذا قرصكما المغص ، تلوّت الملامح منكما كالممثلين الصامتين ، ورفعتما البيرق الدامي ضد الصبر الجميل ، وانتما تصيحان في طلب قعّادة ، وتصرفان المرافعة وهي بعد نازفة ، ونظركما فيها قد زاد في تعقيدها، وما تحققانه من صلح في القضية هو أن تدعُوَا كلا الفريقين نَذْلاً ، وكفى! يا لكما من زوج غريب!

بروتس : على مهلك ! فالكل يعلم انك منكّت بارع للوليمة ، خير منك شيخاً ضرورياً للكابتول .

منـنـيوس : لكان حتى كهاّننا يتهزأون لو أنهم التقوا افراداً مضحكين مثلكما . ان أبدعتما نطقاً ، فإن ما تقولانه لا يساوي هزّ اللحية منكما ، واللحية منكما غير جديرة بكرم الدفن كحشوٍ في وسادة رقّاعِ خِرَق ، أو بأن تُلحد أخيراً في بردعة حمار . ومع ذلك فلا بدّ لكما من القول ان مارسيوس متكبّر ، وهو الذي

(×) مشرّع اسبارطي مشهور .

(××) خريطة العالم الأصغر هي الوجه ، الذي يعتبر دليلاً على خلق الانسان بكامله .

(×××) كان العرف في عهد شكسبير ان البرتقال تبيعه النساء في شوارع لندن .

(××××) في واقع الأمر ، لم يكن للتريبونات الصلاحيات المعزوّة اليهم هنا .

يساوي ، على أبخس تقدير ، اسلافكما كلهم منذ ديوكاليون[×] ، ولو ان بعضاً من خيرتهم ربما كانوا جلادين أباً عن جد . طاب مساؤكما : فالمزيد من حديثكما سيعدو دماغي ، وانتما الراعيان لوحوش الرعاع . سأتجرّأ في الاستئذان منكما .

(يقف بروتس وسسنيوس جانباً)

تدخل فولومنيا، فرجيليا، وفاليريا

أهلاً بالسيدات الحسان النبيلات ! ولو كانت ربة القمر من أهل الأرض لما كانت انبل منكن . أين تتبعن عيونكن بهذه العجلة ؟

فولومنيا : منيوس الكريم ! ان ابني مارسيوس يقترب . ألا حبّاً بجونو، لنذهب !

منيوس : ها ! مارسيوس يعود الى الوطن !

فولومنيا : أجل ، وبأعظم التوفيق والاستحسان .

منيوس : خذ قبعتي ، يا جوبيتر ، وحمداً لك ! ها ! مارسيوس يعود الى الوطن !

فرجيليا وفالريا : نعم ، صحيح .

فولومنيا : انظر ، هذه رسالة منه : وهناك اخرى للدولة ، واخرى لزوجته . وأعتقد ان في البيت رسالة لك أيضاً .

منيوس : لأجعلنّ بيتي يترنح نشوة الليلة : رسالة لي !

فرجيليا : نعم ، اؤكد أن هناك رسالة لك . رأيتها .

منيوس : رسالة لي ! انها تعطيني ضماناً بسبع سنوات من العافية ، سأزدري فيها بالطبيب : ولن تكون أنجع وصفات جالينوس[××] إلا دجلاً في دجل ، بل لن تكون ، قياساً على هذا الدواء ، افضل فعلاً من بولة حصان ! الم يجرح ؟ كان من دأبه ان يعود الى البيت جريحاً .

فرجيليا : لا ، لا ، لا .

(×) قصة ديوكاليون في الأساطير الاغريقية توازي قصة نوح والطوفان .

(××) أبو الطب الاغريقي . وقد عاش في القرن الثاني ب . م . ، مما يجعل الاشارة اليه هنا من الأغلاط الزمنية التي لم يتورع عنها شكسبير أحياناً .

فولومنيا : آ ، لقد جرح ، وإني لأحمد الآلهة على ذلك .

منينـوس : وأنا كذلك ، على ألا تكون الجروح كثيرة ، أيجلب لنا نصراً في جيبه ؟ ان الجروح لتليق به .

فولومنيا : بل على جبينه . منينيوس ، هذه المرة الثالثة يعود فيها الى الوطن باكليل السنديان .

منينـوس : هل أحسن تأديب اوفديوس ؟

فولومنيا : كتب تيطوس لارتيوس يقول انهما تقاتلا ، غير أن أوفديوس هرب .

منينـوس : وفي أحسن وقت ، ما من شك . ولو بقي أمامه ، لما أردت ان اكون مكانه ولو أعطيت خزائن كريولي كلها وما فيها من ذهب . هل أعلم مجلس الشيوخ بهذا ؟

فولومنيا : لنذهب أيتها الكريمات . أجل ، أجل ، لقد تسلم مجلس الشيوخ من القائد كتباً جعل فيها الفضل كله في هذه الحرب لولدي : لقد فاق في ما صنع كل افعاله السابقة ضعفين .

فاليـريـا : في الواقع ، تروى عنه أشياء مدهشة .

منينـوس : مدهشة ! طبعاً ، وكلها كسبها عن حق .

فرجيليا : جعلتها الآلهة صدقاً كلها !

فولومنيا : صدقاً ؟ بس ، بس !

منينـوس : صدقاً ! أقسم أنها كلها صادقة . أين جرح ؟ (ملتفتاً الى التريبونين) كان الله في العون يا سادة ! مارسيوس في طريقه الى الوطن ، ولديه المزيد من سبب للكبرياء ، اين جرح ؟

فولومنيـا : في كتفه وفي ذراعه اليسرى ، ولسوف تكون ثمة ندوب كبيرة يريها للشعب عندما يرشح نفسه للمقام الذي هو أهل له . يوم ردّ طاركوين على عقبه نالته جروح سبعة في جسمه .

منينـوس : جرح في العنق ، واثنان في الفخذ ـ انا أعرف تسعة جروح .

فولومنيا : وقبل هذه الحملة كان يحمل خمسة وعشرين جرحاً .

منينيـوس : وهي الآن سبعة وعشرون : وكل منها قبر لعدو . (صياح وأبواق من الداخل)
اسمعوا ! الأبواق !

فولومنيا : هذه طلائع مارسيوس : أمامه يحمل الصخب ،
ووراءه يخلّف الدموع :
والموت ذلك الروح المظلم ، يقيم في ساعده المفتول ،
فاذا رفع الساعد ، هوى ـ ويموت عندها الرجال .

**(صدح أبواق. يدخل القائد كومنيوس وتيطوس لارتيوس،
وبينهما كريولانس متوجاً باكليل سنديان،
ومعهم رائدون وجنود يتقدمهم بشير.)**

البـــشير : يا أهل روما ، اعلموا ان مارسيوس وحيداً ، فريداً قاتل
داخل أبواب كريولي ، وهناك ، مع الشهرة
غنم اسماً يضاف الى كايوس مارسيوس ـ
يضاف اليهما شرفاً ، كريولانس .
مرحباً بك في روما ، يا ذائع الصيت كريولانس (صدح أبواق)

الجميـــع : مرحباً بك في روما ، يا ذائع الصيت كريولانس !

كريولانس : كفاني هذا . ان صدري يضيق به .
ارجوكم الآن ، كفى !

كومنيـوس : انظر ، سيدي ، والدتك !

كريولانس : أنا أعلم أنك ضرعت الى الآلهة كلها
من أجل فلاحي . (يركع)

فولومنيـا : انهض يا جنديّ الطيب .
يا مارسيوس الكريم ، يا كايوس الفاضل ،
واسمك الجديد الذي احرزته بشرف الفعال ،
ما هو ؟ ـ أكريولانس أدعوك ؟ ـ
ولكن ، آه ، زوجتك !

كريولانس : أيا ساكتتي الرقيقة ، سلاماً !

هل كنت ستضحكين لو أنني في نعش عدت اليك ،
وانت تبكين لرؤ يتي مظفّراً ؟ آه يا عزيزتي ،
عيون كهذه ، إنما تحملها الأرامل في كريولي
والأمهات الثكالى .

منـنيـوس : ألا فلتتوجك الآلهة !

كريولانس : أما زلت حياً ؟ (لفاليريا) سيدتي الحلوة ،
أعذريني !

فولومنيـا : لا أدري اين التفت . أهلاً بك عائداً .
وأهلاً بك أيها القائد ، أهلاً بكم جميعاً .

منـنيـوس : مئة ألف أهلاً بك ! بوسعي ان ابكي ،
وبوسعي أن أضحك . فرح أنا ، وحزين . أهلاً !
ولتحلّ اللعنة في الحبّة من قلب
كل من لا يفرح لرؤ يتك ! انكم ثلاثة
على روما أن تُجَنّ بهم . ولكنْ ، وحق الرجال ،
لدينا هنا في الوطن تفاحات حوامضُ عتاق
ترفض أن تُطعَّم بذوقكم . ولكن ، مرحباً بالمحاربين ،
الشوك ندعوه شوكاً ،
وأخطاء الحمقى حماقة .

كومنيـوس : محقّ ، دائماً !

كريولانس : منـنيوس دائماً ، وأبداً !

البشيـــر : افتحوا الطريق هناك ، وتحركوا !

كريولانس : (لفولومنيا وفرجيليا) : يدك ، ويدك أنت .
قبل أن أظلّل رأسي في بيتنا ،
لا بدّ لي من زيارة الأشراف والكرام ،
الذين لم يصلوني بالتحيات وحسب ،
بل بأمجاد قشيبة أيضاً .

فولومنيا : لقد عشت
لأرى أمنياتي تتحقق
وكل ما بنيت في خيالي . ولكن
ثمة امرأ واحداً ناقصاً ، لا أشك
في أن مدينتنا روما ستمنحك أياه .

كريولانس : اعلمي يا أماه
انني أوثر ان اكون لهم خادماً على طريقتي
على أن أحكمهم على طريقتهم .

كومنيوس : هلموا ، الى الكابتول !
(أبواق، يخرجون على نحو مراسيمي، كما دخلوا
يتقدّم بروتس وسسنيوس).

بروتس : الألسنة كلها تلهج به ، والأبصار العشواء
تلبس النظارات(×) لتراه . هذه المربية الثرثارة
تدع طفلها يختنق بكاء
وهي تهذر عنه . وصبيّة المطبخ تشدّ
أثمنَ خامها حول عنقها الأسخم ،
وتتسلق الجدران لتعاينه : فالمصاطب والدكات والنوافذ
تغصّ ، والسقائف تزدحم ، والحوافّ تُمتطَى
بوجوه متباينة لا تتفق إلا على
لهفتها لرؤيته . وكهنة يندر ظهورهم
يندسون في حشود الشعب لاهثين
ليدركوا موضعاً لهم بين السوقة . وسيداتنا المخمرات
يسلّمن صراع الأبيض والورديِّ الذي
في خدودهن البديعة التزويق لاستلاب فاجر
من قبلات « فيبسُ(××) » اللاهبة . يا للجلبة !
كأنما الاله الذي يقتاده ، مهما يكن ،

(×) يقال أن مخترع النظارات راهب ايطالي عاش في القرن الثالث عشر .
(××) اي الشمس ، وهي في الانكليزية مذكر ، تقابلها « فيبي » أي القمر ، كمؤنث .

قد انسلّ بمكر الى قواه البشرية
واهباً إياه وقفة رائعة .

سسنيوس : واذا هو ، فجأة ، تنصل !

بروتس : وعندها ، فإن لوظيفتنا
أن يأخذها النوم طيلة ولايته .

سسنيوس : لا يستطيع أن يحمل امجاده باعتدال
من حيث ينبغي له أن يبدأ وينتهي ،
ولسوف يضيّع هذه التي حازها .

بروتس : وفي ذلك بعض العزاء .

سسنيوس : ثق أن العوام الذين نمثلّهم
سينسون ، بحقدهم القديم ،
أمجاده الجديدة هذه لأوهى سبب .
ولا ريب عندي في انه سيهيىء لهم هذا السبب ،
كما لا ريب عندي في كبريائه التي تدفعه الى ذلك .

بروتس : لقد سمعته يقسم قائلاً
انه لو رُشّح للقنصلية ، فإنه سيرفض
الظهور في ساحة السوق ،
أو ارتداء ثوب التواضع الخَلِق(×)
كما أنه ، وهو يعرض جروحه على الناس ،
كما جرى العرف ، لن يلتمس أنفاسهم النتنة .

سسنيوس : صحيح .

بروتس : هذه كانت كلمته . فهو يفضّل البقاء بدونها
على نَيْلها ، إلا برجاء من الاشراف اليه
ورغبة من النبلاء .

(×) يقول بلوتارك : كان على القائد الروماني اذا رشّح للقنصلية ان يظهر في « الفورام » (منتدى المدينة) لابساً الـ « توغا » فقط ، دون قميص تحتها ، ليسهل عليه عرض آثار جراحه على الناس . وقد التبست كلمة « فقط » على مترجم بلوتارك (من الفرنسية الى الانكليزية) فترجمها الى « سقط » ، وحوّرها شكسبير الى خلق !

سسنيوس : لا أتمنى شيئاً أفضل
من أن يتشبّث بمشيته تلك ،
وأن ينفذها .

بروتــس : سيفعل ، على الأرجح .

سسنيوس : عندئذٍ ستكون ، كمشيئتنا الثابتة ،
دمارَهُ المؤكد .

بروتــس : إما ذلك ، أو
دمارَ صلاحياتنا . وتحقيقاً للغاية
علينا أن نوحي للشعب بما يكنّه لأفراده
دائماً من كراهية ، وأنه لو استطاع
لجعل منهم بغالاً ، وأخرس المنافحين عنهم ،
وصادر حرياتهم ، غير معتبر اياهم ،
من حيثُ الفعلُ الانسانيُّ أو القدرة ،
أكثر روحاً أو صلاحية للدنيا
من الجِمال في الحرب ، التي لا تُعلف
إلّا لحمل الأعباء والضرب الموجع
ان هي ناءت بها .

سسنيوس : اذا أوحينا بهذا ، كما تقول ،
في وقت يكون فيه صلفه الشاهق
مثيراً للناس ـ ولن نُعْدَم وقتاً كهذا
إذا استُفزّ ، واستفزازه سهل
كاطلاق الكلاب على الماشية ـ فإنه سيكون ناراً منه
تلهب هشيمهم ، ولهيبهُم
سوف يحجبه الى الأبد .

يدخل رسول

بروتــس : ما وراءك ؟

رســول : انتما مطلوبان في الكابتول . انهم يفكرون

في جعل مارسيوس قنصلاً :
ولقد رأيت البكم يتزاحمون لرؤيته
والعمي لسماعه يتكلم : الأمهات يُلقين عليه بقفازاتهن ،
والسيدات والعذارى يلقين عليه الخمار والمنديل
وهو في طريقه : النبلاء ينحنون له
كما لتمثال جوبيتر ، والعوام
يمطرونه بقبعاتهم ويرعدون بصيحاتهم .
ما شاهدت مثل ذلك قط في حياتي(×)

بروتس : لنذهب الى الكابتول ،
حاملين آذاناً وعيوناً لما يجري الآن ،
وقلوباً للنتيجة التي تبغيها .

سسنيوس : هيا بنا .

(×) هنا يعزو شكسبير بعض عادات عصره الى اناس ما كانوا يعرفون عنها شيئاً . ففي عهده كان النبيل اذا أجاد الطعان في المبارزة ، القت عليه بعض المشاهدات خماراً أو قفازاً اعجاباً به . في هذه المسرحية نجد الكثير من مشاهد الحياة الاليزابيثية في لندن يعزوه شكسبير الى روما .

المشهد الثاني

روما... والكابتول

يدخل موظفان لترتيب الحشايا والمقاعد

موظف أول : أسرع ، أسرع . كادوا يصلون . كم رجلاً رشّح للقنصلية ؟

موظف ثانٍ : يقولون ، ثلاثة . ولكن الجميع يعتقدون ان كريولانس هو الذي سيفوز .

موظف أول : فتى رائع . ولكنه متكبر صلف ولا يحب عامة الناس .

موظف ثان : الحق ، هناك الكثير من العظماء ممن تملقوا عامة الناس ولم يحبوهم قط . وهناك الكثير ممن أحبهم عامة الناس وهم لا يعرفون السبب : اذن ، ان كانوا يحبون لسبب يجهلونه ، فانهم لا يكرهون لسبب أوجه . ولذلك ، فإن كريولانس اذ لا يهمه أيحبونه أم يكرهونه انما يبدي علماً صحيحاً بطبيعتهم ، وللنبل في لامبالاته ، فإنه يدعهم يرون ذلك بوضوح .

موظف أول : لو لم يهمّه أيحبونه أم لا ، لراوح بغير اكتراث بين الاحسان اليهم والاساءة . إلاّ أنه يطلب كرههم بحرارة أعظم مما بوسعهم أن يهبوه ، ولا يقلع عن أي فعل يكشف عن مناوأته لهم . فإن يبدو طالباً حقد الناس وسخطهم ليس بأقلّ سوءاً عن هذا الذي يمقته ـ أن يتملّق الناس من اجل حبهم .

موظف ثانٍ : ان له حقاً على بلده . فصعوده لم يكن بالدرجات السهلة تلك التي يرقاها رجل يلاين الشعب ويلاطفه ويرفع له القبعة ، دون اي فعل آخر يرفع من قدره وسمعته لدى الناس . لقد زرع أمجاده في نواظرهم ، وأفعاله في

قلوبهم ، فإذا أمسكوا اللسان عن الاعتراف بذلك ، كان ذلك ضرباً من العقوق والايذاء . واذا نطق أحد بغير ذلك ، كان نطقه حقداً يكذّب نفسه بنفسه ، ولا يجني سوى اللوم والتوبيخ من كلّ اذن تسمعه .

موظف أول : كفى كلاماً عنه . انه نعم الرجل . هيّا . لقد وصلوا .

(صدح أبواق. يدخل شرطة يفسحون الطريق
أمام القنصل كومنيوس، ومنينيوس، وكريولانس،
وشيوخ، وسسنيوس، وبروتوس
الشيوخ يحتلون اماكنهم، والتريبونات يحتلون أماكنهم
على حدة. أما كريولانس فيبقى واقفاً).

منينيوس : الآن وقد فرغنا من الفولسيين
وبانتظار مقدم تيطوس لارتيوس ، بقي علينا ـ
كنقطة رئيسية في هذا الاجتماع اللاحق ـ
ان نجزِيه على خدمته النبيلة
بعد أن أجاد الدفع على بلده . ولذا ، تفضلوا
أيها الشيوخ المحترمون الأجلّاء ، واطلبوا
الى القنصل الحالي والقائد الأخير
في انتصاراتنا الموفقة ، أن يروي لنا
بعضاً من روائع ما صنع
كايوس مارسيوس كريولانس ، هذا الذي
اجتمعنا هنا لنشكره ونكرمه
بأمجاد شبيهة به .

شيخ اول : تكلم ، ايها الفاضل كومنيوس .
لا تدع عنك شاردة خوف الاطالة ، واجعلنا نعتقد
ان دولتنا هي القاصرة عن الجزاء
لا نحن في تطويعها لذلك . (الى التريبونات) يا سادة الشعب ،
أعيرونا ، لطفاً ، آذانكم ، ومن ثم
حُسْنَ نفوذكم عند جماهير العوام
لكي يوافقوا على ما يجري هنا .

سسنيوس : لقد دُعينا
للمصادقة على معاهدة سارّة ، وقلوبنا
تميل الى الرفع من شأن
موضوع اجتماعنا وتكريمه .

بروتـــس : ولسوف نجد بركة في فعل ذلك
ان هو جعل في خاطره قيمة للشعب
أعزّ مما فعل حتى الآن .

منيـوس : ذلك خارج عن الصدد .
ليتك بقيت صامتاً . أتود
ان تسمع كومنيوس يتكلم ؟

بروتـــس : بكل طيبة خاطر .
غير أن تحذيري كان وارداً
اكثر من توبيخك .

منيـوس : انه يحب شعبك .
ولكن لا تجبره على مشاركته الفراش .
كومنيوس الفاضل ، تكلم . (كريولانس يبدي رغبة في الخروج)
أرجوك ، لا تبرح مكانك.

شيخ أول : اجلس ، يا كريولانس ، ولا تخجل لسماع
ما فعلته بنبل وشرف .

كريــولانس : أرجو العفو من سيادتكم
اني لأوثر أن تندمل جراحي من جديد
على أن أسمع كيف أُصِبْتُ بها .

بروتـــس : سيدي ، آمل
أن كلماتي لم تغضبك .

كريولانـــس : لا يا سيدي . ولكن لطالما وجدت
أنني أصمد للضربات ، وأفرّ من الكلمات .
أنت لم تنافق ، ولذا لم تؤلم . ولكن شعبك ـ

انني أحبه بقدر ما يزن .

منـنيـوس : أرجوك الآن ، اجلس .

كريولانـس : اني لأوثر أن يشجّ أحدهم رأسي في الشمس
عندما يصدح نفير القتال ، على أن أجلس خاملاً
لأسمع صغائري تُضَخّم كالأعاجيب .
(يخرج)

منـنيـوس : يا سادة الشعب ،
بزرتكم التكاثرة هذه ، كيف له أن يتملّقها ـ
وهي ألفٌ لكل واحدة صالحة ـ وها أنتم ترون
انه يفضّل المجازفة بأعضائه كلها طلباً للشرف
على المجازفة باحدى أذنيه في سماع من يمدحه ؟ تفضل ، كومنيوس .

كومنيـوس : ان الصوت ليعوزني : وفعال كريولانس
لا يجوز النطق بها بوَهَن . يقال
إن الشجاعة رأس الفضائل ،
وأشدّها رفعاً من قدر صاحبها : اذا كانت كذلك
فإن الرجل الذي اتحدث عنه ليس في الدنيا
من بمفرده يوازنه . ففي السادسة عشرة من عمره ،
يوم هاجم طاركوين(×) روما ، قاتل قتالاً
تعدى صولة الآخرين . ودكتاتورنا(××) يومئذٍ
(واني لأشير اليه ممتدحاً) رآه يقاتل ،
وهو بذقنه المرداء يسوق
الشوارب الكبيرة أمامه . لقد وقف مناضلاً
عند رأس روما الجريحة ، وعلى مرأى من القنصل
أردى ثلاثة قتلى : وطاركوين نفسه جابهه
وأسقطه على ركبته . ففي ضراب ذلك اليوم

(×) « طاركوين المتكبّر » آخر ملوك روما ، وقد طرد منها عام ٥١٠ ق . م .

(××) كان الدكتاتور ، في روما القديمة ، يعيَّن في اوقات الكرب والأزمات ويُعطى صلاحيات الدولة بكاملها لمدة ستة أشهر .

حين كان له أن يمثل دور المرأة في المشهد(×)
أثبت أنه خير الرجال في الميدان ، وثواباً له
كللوا جبينه بالسنديان . واذ تحول هكذا
من طور التلمذة الى طور الرجال ، غدا كبيراً كالبحر .
وفي وطيس سبع عشرة معركة بعد ذلك
انتزع الأكاليل من كل سيف . وفي هذه الأخيرة
أمام كريولي وداخلها ، دعوني اقول لكم :
لن استطيع وفاءه حقه . لقد اوقف الهاربين ،
وبقدوته النادرة جعل الجبان
يحوّل الرعب الى لعب . وكالأعشاب
ازاء سفينة مشرعة ، هكذا دان له الرجال
ووقعوا تحت مقدّمه : سيفه خاتم الموت ،
حيثما طبع ، قتل . من وجهه حتى القدم
كان دماً كله ، وكل حركة منه تأتي
على ايقاع من صرخات المنايا . وحده اقتحم
الأبواب القاتلة الى المدينة ، وصبغها
بمصير لا يردّ . وخرج دونما عون ،
وبمدد فجائي هوى
كالنجم على كريولي : وكان الكلّ له .
واذا قعقعة الوغى ، بعد قليل ، تخرق
سمعه المهيّأ ، وفي الحال انعشت روحه الواثبة
ما كان في الجسد قد تعب ،
وهرع الى المعركة، حيث راح
يركض دامياً فوق أعمار الرجال ، كأنها
غنيمة لا تنتهي . وإلى أن أعلنّا
أننا أرباب الميدان والمدينة ، ما وقف لحظة .
ليريح صدره باللهاث .

منتيـــوس : يا للرجل الكريم !

(×) في عهد شكسبير كان الأولاد هم الذين يمثلون أدوار النساء في المسرح

شيخ أول : لن يكون إلا على قدره ما فضّلنا له
من شرف ومجد .

كومنيـــوس : غنائمنا ركلها برجليه ،
ونظر الى النفائس كأنها
قمامة الدنيا : انه يشتهي ما هو أقلّ
من عطاء المُمْلِق بالذات ، ويُجزي
أفعالَه بمحض فعلها ، ويقنع
من وقته بقضائه وحسب .

مننيـــوس : نبيل هو عن حق !
اطلبوا حضوره .

شيخ أول : نادوا كريولانس .

موظـــف : لقد حضر .

(يدخل كريولانس ثانية)

مننيـــوس : كريولانس ، انه ليسرّ مجلس الشيوخ
ان يعيّنك قنصلاً .

كريولانـس : إني مدين لهم أبداً
بحياتي وخدماتي .

مننيـــوس : اذن لم يبق إلا
أن تخاطب الشعب .

كريولانـس : اتوسل اليكم
ان تدعوني اتخطى هذه العادة . لأنني لا أقدر
أن ألبس الثوب ، وأقف عارياً ، وأترجّاهم ،
من أجل جراحي ، ان يهبوني أصواتهم . أرجو
ان تأذنوا لي بألا أفعل ذلك .

سسنيـوس : مولاي ، ان الشعب
يصرّ على أصواته ، ولن يتنازل عن

قيراط من شعائره .

منينـــوس : لا تثرهم .
أرجوك ، لائم بينك وبين العادة .
وكما فعل الذين سبقوك ، خذ لنفسك
منصبك بمراسيمك المقررة .

كريولانـس : انه دور
سأخجل في تمثيله ، يحسن
تجريد الشعب منه .

بروتس (لسسنيوس) : اسمعت ذلك ؟

كريولانـس : أن أتبجّح لهم بأنني كذا فعلت ، وكذا ،
وأعرض عليهم الندوب التي لا تؤلم وَيْجَمُلُ بي اخفاؤها ،
كأنني انما حصّلتها أجراً
لأنفاسهم فقط !

منينـــوس : لا تصرّ على الرفض .
يا تريبونات الشعب ، نطلب اليكم أن توصوا
الشعب بما عزمنا عليه . ولندعُ جميعاً
لقنصلنا النبيل بالفرح والمجد .

الشيـــوخ : الفرح والمجد لكريولانس !

(صدح أبواق. يخرج الجميع، إلا بروتس وسسنيوس)

بروتـــس : أترى كيف ينوي معاملة الشعب ؟

سسنيـوس : لنأمل أن الشعب سيدرك نيته . سيسأل الناس
وكأنه يحتقر ما يطلب اليهم أن يمنحوه .

بروتـــس : هيّا ، لنخبرهم
بما قد جرى هنا : أنا أعرف أنهم
ينتظروننا في ساحة السوق .

(يخرجان)

المشـــهد الثـالـث

روما. الفورم (منتدى المدينة)

(يدخل عدد من المواطنين)

مواطن أول : مرة نهائية أقول : اذا طلب الينا أصواتنا ، يجب ألا نمسكها عنه .

مواطـن ثان : بل قد نمسكها عنه يا سيدي ، ان شئنا .

مواطن ثالث : نحن لدينا الصلاحية لفعل ذلك ، ولكنها صلاحية لا صلاحية لدينا لتنفيذها : لأنه اذا عرض علينا جروحه ، وروى لنا أفعاله ، علينا أن نضع ألسنتنا في تلك الجروح ، وننطق عنها . أي ، اذا روى لنا افعاله النبيلة ، وجب علينا أن نروي له قبولنا النبيل بها . نكران الجميل أمر وحشي ، والجمهور اذا كان ناكراً للجميل ، جعل من نفسه وحشاً ، ولما كنا نحن افراداً منه ، جعلنا من أنفسنا افراداً وحشيين .

مواطـن أول : وبأقلّ عون منّا ، لن يعتبرنا هو خيراً من ذلك . فيوم تمرّدنا من أجل القمح ، لم يتردد في تسميتنا بالحشد العديد الرؤوس

مواطن ثالث : ما اكثر الذين يسموننا كذلك ! لا لأن بعض رؤوسنا كستنائي ، وبعضها أسود ، وبعضها أشقر ، وبعضها أصلع ، بل لأن عقولنا هي بهذه الألوان المختلفة . والحق يقال ، لو أن عقولنا خرجت من جمجمة واحدة ، لتطايرت شرقاً وغرباً ، وشمالاً وجنوباً ، ولكان اتفاقها على طريق واحدة مستقيمة هو السير في اتجاهات البوصلة كلها معاً .

مواطن ثـانٍ : اتعتقد ذلك ؟ في أي اتجاه ترى ان عقلي سيطير ؟

مواطن ثالث : لا ، عقلك انت لن يخرج بسرعة عقل رجل آخر : فهو محصور بقوة في رأس كالحطبة . ولكنه لو وجد حريته ، لطار جنوباً ، لا شك .

مواطن ثـانٍ : ولم جنوباً ؟ .

مواطن ثالث : ليضلّ في ضباب كثيف ، وهناك اذ تذوب ثلاثة أرباعه بالأنداء العفنة ، سيعود الربع الرابع والضمير يقرّعه ، ليعينك في الحصول على زوجة .

مواطن ثـان : انت لن تتخلّى عن ألاعيبك . أكمل ، أكمل .

مواطن ثالث : هل عزمتم جميعاً على اعطاء اصواتكم ؟ ولكن ، ما همّ .
الأكثرية هي التي تقرّر . وأنا أقول ، لو أنه يجنح الى الشعب ،
لما رأينا رجلاً أجدر منه .

(يدخل كريولانس مرتدياً ثوب التواضع ، ومعه منيوس)

ها هو قادم ، وفي ثوب التواضع . لاحظوا تصرّفه . يجب ألّا نبقى جميعاً سوية ، بل علينا أن نمر به حيث يقف ، واحداً واحداً ، اثنين اثنين ، ثلاثة ثلاثة . وعليه أن يسأل كلاً بمفرده ، فكل منا له الشرف باعطائه صوته بلسانه . ولذا ، اتبعوني ، أرشدكم كيف تمرون به .

الجميـــع : رضينا ، رضينا

(يخرج المواطنون)

منيـــوس : مولاي ، لست على حق . ألم تر
أن أكرم رجالنا قد فعلوا ذلك ؟

كريولانـس : وماذا ينبغي عليّ أن أقول ؟
« أرجوك ، سيدي ـ » عليها اللعنة ! لا استطيع
أن أسيّر لساني بهذه السرعة . . « سيدي ، انظر جراحي !
أصبت بها في خدمة وطني ، عندما
راح بعض اخوانك يعيّطون ويفرّون
حتى من ضجيج طبولنا . »

منيـــوس : يا للآلهة !

يجب الا تقول ذلك ! يجب ان ترغب اليهم
في التأمل فيك .

كريولانـــس : التأمل فيّ ! قاتلتهم الآلهة !
ليتهم ينسونني ، كالفضائل
التي يعجز كهاننا عن تلقينهم .

منينيـــوس : ستفسد كل شيء
سأتركك . أرجوك ، خاطبهم ، أرجوك ،
على نحو معقول .

كريولانـــس : مرهم بغسل وجوههم
وتنظيف أسنانهم . (يخرج منينيوس)
والآن هنا زوج قادم .

(يدخل مواطنان)

أنت تعلم ، يا سيدي ، سبب وقوفي هنا .

مواطن أول : نعم يا سيدي . اخبرنا ما الذي دفعك اليه .

كريولانس :جدارتي أنا .

مواطن ثانٍ : جدارتك أنت !

كريولانـــس : أجل ، لا رغبتي أنا .

مواطن أول : كيف ! لا رغبتك أنت !

كريولانـــس : لا يا سيدي ، فأنا ما رغبت يوماً في ازعاج الفقراء بالكدية .

مواطن أول : عليك ان تحسب ، ان وهبناك شيئاً ، فاننا نأمل
في مكسب منك .

كريولانـــس : حسناً ، ارجوكما ، ما ثمن القنصلية عندكما ؟ .

مواطن أول : ثمنها هو أن تطلبها بلطف .

كريولانـــس : بلطف ! سيدي ، أرجوك ، أعطني أياها : عندي
جروح أريها لك ، وهي لك في خلوة بيني وبينك . صوتك
الكريم ، سيدي . ما رأيك ؟

مواطن ثانٍ : انه لك ، سيدي الفاضل .

كريولانـــس : صفقة ، يا سيدي ! لقد استجديت صوتين ، ونلت منكما الحسنة . وداعاً .

مواطن أول : شيء غريب .

مواطن ثانٍ : لو طلب ثانية ـ ولكن ، ما همّ .

يخرجان، ويدخل مواطنان آخران

كريولانـــس : أرجوكما ، ان يتناغم انتخابي قنصلاً مع صوتيكما ، فإنني أرتدي الثوب المألوف .

مواطن ثالث : لقد استحققت من وطنك بنبل ، ولم تستحقّ بنبل .

كريولانـــس : لغزك ؟

مواطن ثالث : كنت سوطاً على أعدائه ، وعصا على أصدقائه ، انت ما أحببت يوماً عامّة الناس .

كريولانـــس : لكان الأحرى ان يزيد ذاك من فضلي لديك ، لأنني ما كنت يوماً عامّياً في حبي . سيدي ، سأتملّق صديقي الحبيب ، الشعب ، لعلني اكسب مزيداً من القدر لديه . انها حالة يعتبرها الناس كريمة ، وبما أن حكمة الخيار عندهم تفضّل قبّعتي على قلبي ، سأمارس الاشارة بهزّة الرأس ، وأرفع قبعتي لهم بزيف متقن . أي أنني يا سيدي سأزيّف سحر رجل شعبيٍ ، وأوزعه بسخاء على الراغبين . ولذا ، أتوسل اليكما أن تقبلاني قنصلاً .

مواطن رابع : نرجو أن نجد فيك صديقاً لنا ، ولذلك نعطيك صوتينا من القلب .

مواطن ثالث : لقد أصبت بجروح كثيرة من أجل بلدك .

كريولانـــس : لن أختم علمك باطلاعك عليها . سأستفيد كثيراً من صوتيكما ، ولن أزعجكما بعد .

كلا المواطنين : أفرحتك الآلهة ، يا سيدي !

(يخرجان)

كريولانـــس : ما أعذب هذه الأصوات !

خير لنا أن نموت ، أن نتضوّر جوعاً ،
من أن نتمنّى الجزاء الذي نستحقه أصلاً .
فيم وقوفي هنا في ردائي الذئبي[×] هذا
لأسأل كل زيد وعمرو يمران بي
شهادة لا حاجة لي بها ؟ العرف يدعوني لذلك .
ان يكن علينا أن ننفّذ في كل شيء ما نصّه العُرف
فإن الغبار سيظل غيرَ مجلوّ عن كل قديم ،
ويتراكم الخطأ جبلاً عالياً
يمنع الحقيقة عن ابراز وجهها . فعوضاً عن الهزء بها ،
ليكن الشرف والمنصب الأسمى
من سهم من يفعل ذلك . لقد كدت أفرغ :
تحملت شقاً واحداً ، فلأقم بالثاني .

(يدخل ثلاثة مواطنين آخرين)

هنا أصوات أخرى قادمة .
أصواتكم . لأصواتكم قاتلت .
سهرت لأصواتكم . لأصواتكم أحمل
من الجروح عشرين ونيّفاً ، ومن المعارك
شاهدت وسمعت قرابة العشرين . لأصواتكم
فعلت أموراً كثيرة ، صغيرة وكبيرة . أصواتكم . . .
في الواقع ، أود أن اكون قنصلاً .

مواطن خامس : لقد أحسن الصنع ، ولا يمكن أن يحرم صوت أي انسان شريف .

مواطن سادس : اذن ، فليصبح قنصلاً . ولتفرحه الآلهة ، وتجعل
منه صديقاً طيباً للشعب !

الجميـــع : آمين ، آمين . حرسك الله ، أيها القنصل النبيل !

(يخرجون)

(×) لهذه الكلمة في الأصل تأويلات عدة ، لعل أنسبها هو أن الرداء (الـ « توغا » الرومانية) كان يصنع من صوف ويصبغ بالأبيض ، فكأن لابسه هنا يقول انه « ذئب في ثوب حمل » . لأنه يشعر كالذئب تجاه الشعب ، ولكن عليه ان يخفي ذلك عنه وراء رداء من صوف ، فهو اذن رداء « ذئبي » ايضاً .

كريولانـــس : يا للأصوات الفاضلة !

(يدخل ثانية منينوس ومعه بروتس وسسنيوس)

منينيـــوس : لقد أديت واجبك المحدد ، والتريبونات
يمنحونك اصوات الشعب . بقي الآن
أن تسرع الى اللقاء بالشيوخ
مرتدياً الثوب الرسمي .

كريولانـــس : هل انتهى هذا ؟

سسنيـــوس : عادة الطلب قمت بها .
الشعب راضٍ بك ، وقد دعي
الى الاجتماع قريباً تثبيتاً لك .

كريولانـــس : أين ؟ أفي مجلس الشيوخ ؟

سسنيـــوس : أجل ، كريولانس .

كريولانـــس : هل لي أن أغيرّ هذه الملابس ؟

سسنيـــوس : نعم ، سيدي .

كريولانـــس : سأفعل ذلك فوراً . وعندما أعرف نفسي ثانية
سأيمم شطر مجلس الشيوخ

منينيـــوس : سأرافقك . أتأتيان ؟

بروتـــس : سننتظر هنا مجيء الشعب .

سسنيـــوس : وداعاً .

(يخرج كريولانس ومنينوس)

لقد نالها الآن ، ومن نظراته ، أغلب الظن
انها دافئة على قلبه .

بروتـــس : بقلب متعجرف لبس الثوب المهلهل .
هل ستصرف الشعب ؟

(يدخل المواطنون مرة اخرى)

سسنيــوس : أهلاً ، سادتي ! هل انتخبتم هذا الرجل ؟

مواطن أول : أعطيناه أصواتنا يا سيدي .

بروتـــس : نسأل الآلهة أن يكون أهلاً لحبّكم.

مواطن ثانٍ : آمين . ولكن الذي لحظته ، أنا العبد الفقير .
هو أنه سخر منّا عندما توسّل في طلب اصواتنا .

مواطن ثالث : بل انه هزىء بنا هُزْءًا صريحاً .

مواطـن أول : لا ، إنما تلك طريقته في الكلام . لم يسخر منا .

مواطن ثان : ما من أحد ، باستثنائك أنت ، الاّ ويقول
انه عاملنا بازدراء ، كان عليه ان يرينا
شارات استحقاقه ـ الجروح التي تكبدها من أجل بلده .

سسنيــوس : ولكنه فعل ذلك ، أنا واثق .

المواطنون جميعاً : لا ، لا . لم يرها انسان .

مواطن ثـالث : قال ان به جروحاً يمكنه ان يريها على حدة
واذ لوّح بقبعته بازدراء ،
قال : « أود أن اكون قنصلاً . والعادة القديمة
لا تسمح لي بذلك ، إلا إذا نلت أصواتكم .
هاتوا أصواتكم اذن . » ولما أعطيناها ،
قال : « اشكر لكم أصواتكم . شكراً .
ما أعذب أصواتكم . والآن وقد تركتم لي أصواتكم ،
ليس لي شأن بكم بعد » . اليست هذه سخرية ؟

سسنيــوس : لماذا كنتم جهلة فلم تلحظوها ،
وان لحظتموها ، ففيم الألفة الصبيانية هذه
بمنحه أصواتكم ؟

بروتـــس : أما كان بوسعكم أن تخبروه ـ
كما لقنّاكم ـ انه يوم كان لا سلطان له ،
بل كان خادماً صغيراً للدولة ،

كان عدوّكم ، يتحدث دوماً ضدّ
حرياتكم وحقوقكم السياسية في
كيان الأمّة ، وأنكم ، اذ بلغ الآن
منزلة الحول والطّول في الدولة ،
ان هو ظلّ بحقده
عدو الجماهير اللدود ، قد تغدو أصواتكم
لعنات عليكم؟ كان عليكم ان تقولوا
ان مآتيه الكبـرى تستحق
كلّ ما رشح نفسه له ، فخليق بطبعه الكريم اذن
أن يُعنىَ في أفكاره بكم لقاء أصواتكم،
فيبدِّلَ حقدَهُ عليكم بحبّ
ويصبحَ لكم السيد الصديق .

سسنيـوس : لو تكلمتم هكذا ،
كما أشرنا عليكم مسبقاً ، لامتحنتم روحيته
وجرّبتم نزعته ، ولانتزعتم منه
إما وعده الكريم الذي لكم
أن تُلزموه به اذا ما الحاجة اقتضت ،
أو لاستفززتم طبعه الحَرون
الذي لا يتحمّل بيُسرٍ أي شرط
يقيده بشيء . وهكذا ، اذ تثيرون سخطه
كان عليكم ان تنتهزوا فرصة غضبه
فتمروا به دون انتخابه .

بروتــس : أما لاحظتم
انه بادركم بالطلب بازدراء صريح
وهو بحاجة الى حبكم : أو تحسبون
ان ازدراءه لن يؤذيكم
يوم تكون له القدرة على السحق ؟ ألم يكن لأجسادكم
قلب فيها بينكم ؟ أم أن ألسنتكم لا تصيح
إلّا ضد حكم العقل والرشاد ؟

سسنيـوس : هل رفضتم سائلاً من قبل ؟ والآن رحتم
تهبون ذاك الذي لم يسأل (بل سخر منكم)
ألسنتكم التي ترجّاها الآخرون ؟

مواطن ثالث : لم يتم تثبيته بعد ، ولنا
أن نمسك عنه .

مواطن ثـانٍ : ولسوف نمسك عنه .
سأحصل على خمسمئة صوت بذلك .

مواطن أول : وأنا على ضعف الخمسمئة ، وعلى مثيلاتها لدعمها .

بروتـس : اذهبوا في الحال ، واخبروا هؤلاء الأصدقاء
أنهم اختاروا قنصلاً سيجرّدهم
من حرياتهم ، ولن يدع لهم صوتاً اكثر من
صوت الكلاب التي تُضرب لنباحها
بقدر ما هي تُحفظ للنباح .

سسنيـوس : دعوهم يجتمعون .
وبادراك اسلم من ذي قبل ، انقضوا جميعاً
انتخابكم الجهول . أكدّوا على كبريائه ،
وكرهه القديم لكم . ثم ، لا تنسوا
بأي احتقار ارتدي ثوب التواضع ،
وكيف انه في التماسه ازدرى بكم ، ولكن حبكم ،
اذ تأملتم في خدماته ، حجب عنكم ،
ادراك تصرّفه الراهن ،
الذي صاغه شامتاً ، مستهتراً ،
وفق ما يكنّه لكم من حقد عنيد .

بروتـس : ضعوا اللوم علينا ، نحن تريبوناتكم ، بأننا أصررنا
رغم العوائق كلها أن تلقوا
بأصواتكم عليه .

سسنيـوس : قولوا انكم انتخبتموه

بوصية منا اكثر منكم انصياعاً
لتحقيق عواطفكم ، وأن عقولكم
آنشغلت بما يجب عليكم
لا بما يحسن بكم أن تفعلوه ، فجعلتكم ضد ميلكم
تنتخبونه قنصلاً . ضعوا اللوم علينا .

بروتـــس : أجل ، لا ترأفوا بنا . قولوا اننا رحنا نحاضركم ،
كيف انه في شبابه جعل يخدم وطنه ،
وكيف انه استمر بذلك ، وحدثناكم عن شرف نسبه ـ
فهو من آل مارسيوس الكرام ، الذين منهم انحدر
انكوس مارسيوس ، ابن ابنة نوما[×] ،
الذي كان ملكاً هنا بعد هوستيليوس العظيم .
ومنهم ايضاً انحدر بوبليوس وكوينتوس ،
اللذان جاءا بأفضل مائناً بالأنابيب الينا[××]
وسنسورينوس ، الذي شرّف باسمه ذلك
لأنه انتخب مرتين « سنسوراً »[×××] ،
كان سلفه العظيم .

سسنيـــوس : رجل نسبه كهذا ،
ومحققاً بشخصه أيضاً أطيب الفعال
لنيل علوّ المكانة ، أوصيناكم
به خيراً . غير أنكم ،
اذ وزنتم مسلكه الراهن ازاء ماضيه
وجدتم انه عدوكم اللدود ، فرجعتم عن
استحسانكم الفجائي .

(×) سلالة كريولانس هذه استمدها شكسبير من ترجمة « نورث » لبلوتارك . وهو ، كما فعل في المشهد الرابع من الفصل الاول ، يضع على ألسنة معاصري كريولانس (حوالي ٤٩٠ ق . م .) أقوالاً قالها المؤرخ بلوتارك نفسه ، تعود الى اناس عاشوا في الواقع بعد مجيء كريولانس .

(××) الاشارة هنا الى الانابيب التي بناها كوينتوس مارسيوس بأمر من مجلس الشيوخ عام ١٤٤ ق . م . اي بعد كريولانس بأكثر من ثلاثة قرون .

(×××) تعني « الرقيب » . وكان منصبه في الجمهورية الرومانية من أعلى مناصب الدولة التي كان فيها عادة « رقيبان » اثنان .

بروتـــس : قولوا انكم ما كنتم لتفعلوا ذلك ـ
وألحّوا في القول ـ لولا حثّنا لكم ،
وحالما تجمّعون من هم مثلكم في الرأي
توجّهوا صوب الكابتول .

جميع المواطنين : سنفعل . نكاد كلنا
ننتدم على انتخابنا .

(يخرجون)

بروتـــس : عليهم بها .
خير لنا أن نجازف بهذا العصيان
من ان نتريث في انتظار ما هو ولا شك أخطر .
واذا استشاط حنقاً لرفضهم ،
كما هو طبعه ، لنرقبْ غضبه
ونستغلَّ ما يتيحه من بادرة .

سسنيـــوس : هيا الى الكابتول .
سنكون هناك قبل وصول سيل الشعب ،
فيبدو هذا الذي دفعناهم اليه
وان يكن بعضهم منهم ، وكأنه كله من فعلهم .

(يخرجان)

الفصـــل الثـالث

المشهـــد الأول

شارع في روما

أبواق، يدخل كريولانس، مننيوس، كومنيوس، تيطوس لارتيوس، شيوخ ، سادة آخرون.

كريولانس : اذن كان تلوس اوفديوس قد حشد جيشاً جديداً ؟

لارتيـوس : نعم يا مولاي . وهذا كان السبب في تسويتنا العجلى .

كريولانس : اذن فالفولسيون يقفون كما من قبل :
مستعدين ، حين تدفعهم الآونة ، للقيام بغزونا من جديد .

كومنيوس : منهكون هم يا مولاي القنصل،
ولا أحسبنا سنرى راياتهم تخفق في زماننا ثانية .

كريولانس : هل رأيت أوفديوس ؟

لارتيـوس : أعطيناه الأمان فجاء اليّ ، وراح يشتم
الفولسيين ، لأنهم سلموا المدينة
بتلك الزراية . وقد انسحب الى انتيوم .

كريولانس : هل تحدث عني ؟

لارتيـوس : نعم يا مولاي .

كريولانس : كيف ؟ ماذا ؟

لارتيـوس : كيف انه قابلك مراراً ، سيفاً لسيف ،
وأنه يكره شخصك اكثر من أي شيء
في الأرض ، وانه يرضى برهن أمواله
دونما الأمل باستعادتها ، لو انه
يقال عنه انه غالبك .

كريولانس : ويقيم في انتيوم ؟

لارتيـوس : في أنتيوم .

كريولانس : يا ليت لي عذراً في طلبه هناك .
كيما أقابل حقده المقابلة كلها . أهلاً وسهلاً .
(يدخل سسنيوس وبروتس)
انظر ، هذان هما من تريبونات الشعب ـ
أَلْسِنَةِ فم العوام . انني احتقرهما
لأنهما يزهوان بالسلطة .
على نحو لا يطيقه الأشراف .

سسنيوس : لا تخطُ خطوة أخرى !

كريولانس : ها ! ماذا تعني ؟ .

بروتـــس : الاستمرار خطر . مكَانك !

كريولانس : ما الذي تغير ؟

منينيــوس : ما الأمر ؟

كومنيـوس : ألم يرضَ عنه الأشراف والعوام ؟

بروتـــس : لا يا كومنيوس .

كريولانس : هل أُعطيتُ أصواتَ الأطفال ؟

شيخ أول : افتحا الطريق ، أيها التريبونان ! وليذهبنّ
الى ساحة السوق !

بروتـــس : الشعب مغضب عليه .

سسنيوس : قف ، وإلاّ وقع الكل في فوضى .

كريولانـس : أهذا قطيعكم ؟
أو لا بُدّ لهم من أصوات ، يهبونها الآن ،
وينكرون على الفور السنتهم ، ما هي وظائفكم ؟
ولئن كنتم أفواههم ، فلم لا تتحكمون بأسنانهم ؟
ألم تهيّجوهم أنتم ؟

منتيـوس : اهدأ ، اهدأ .

كريولانس : انه لأمر مقصود ، ويتعاظم بالتآمر ـ
الحدُّ من ارادة النبلاء .
إن تسمحوا به ، عشتم مع من لا يستطيعون أن يَحكُموا
ويرفضون أن يُحكَموا .

بروتـــس : لا تقل انه تآمر :
فالشعب يصرخ بأنك سخرت منه ، وانك مؤخراً ،
عندما أُعطي القمح بالمجّان ، احتججت على ذلك ،
وقَدَحْتَ في السائلين باسم الشعب ، ودعوتَهم
انتهازيين ، ومنافقين ، وأعداء لكل نبيل .

كريولانس : ولكن هذا كان معروفاً من قبل .

بروتـــس : ليس عندهم جميعاً .

كريولانس : وهل أخبرتهم منذ ذلك الحين ؟

بروتـــس : كيف ؟ أنا أخبرهم ؟

كومنيـوس : يحتمل منك ان تفعل امراً كهذا .

بروتـــس : ولا يستبعد ان يكون خيراً مما تفعل ، مهما يكن .

كريولانس : فيم اذن كوني قنصلاً ؟ وحق تلك الغيوم ،
فلأكن عديم الجدارة مثلك ، واجعل مني
تريبوناً زميلاً لك !

سسنيوس : انك تبدي المزيد مما .
ينقم له الشعب : فإن شئت الذهاب
الى حيث انت متوجّه ، عليك السؤال عن طريقك ،
الذي ضللت عنه ، بروح أشد دماثة .
وألاّ فما فيك من نبلٍ لتكون قنصلاً
ولن تُقرن كتريبون معه .

منينيوس : هدوءاً يا قوم !

كومنيوس : ان الشعب ليغرّر به ، ويستثار . وهذه المهاترة
لا تليق بروما ، وليس كريولانس
بمستحق عرقلة لئيمة كهذه تنصب خداعاً
في السَّوِيِّ من طريق مزيّته .

كريولانس : تحدثني عن القمح !
هذا كان خطابي ، وسألقيه ثانية .

منينيوس : لا الآن ، لا الآن .

شيخ أول : لا في هذه الحدة ، سيدي ، الآن .

كريولانس : بل الآن ، قسماً بحياتي . أما أصدقائي الأنبل ،
فإني استميحهم العذر ،
وأما الكثرة المتقلبة الخبيثة العَبَق ،
فليتمعنّوا فيّ أنا الذي لا أتملق ،
يشاهدوا فيّ أنفسهم : اني أقولها ثانية ،
إننا باسترضائهم نغذّي ضد مجلس شيوخنا
زؤان العصيان ، والوقاحة ، والشغب ،
هذا الذي بأنفسنا حرثنا له ، ونثرناه ، وزرعناه ،
حين خالطناهم بنا ، نحن العدّة الشريفة ،

التي لا تنقصها الفضيلة ، لا ولا القوة ، سوى
ما جادت به للمتسوّلين .

منينـــوس : كفى !

شيخ أول : نرجوك ، كفى كلمات .

كريولانـس : كفى ؟
كما انني سكبت دمي من أجل وطني
غير متهيّب سطوة خارجية ، هكذا لسوف تَنْحَتُ
رئتاي الكلمات أو تتقطّعا بحقّ هؤلاء الجُرْب
الذين نخشى على جلودنا عَدْواهم ، ولكننا سعينا
اليها بأظلافنا .

بروتـــس : إنك تتحدث عن الشعب
كأنك إله يعاقب ، لا بشر
يشارط البشر ضعفهم .

سسنيـوس : يجمل بنا
أن نعلم الشعب بذلك .

منينيـوس : بماذا ، بماذا ؟ بسخطه ؟

كريولانـس : سخطي !
لو كنت صبوراً كنومة منتصف الليل
لكانت تلك ، وحق جوبيتر ، هي مشيئتي !

سسنيـوس : انها مشيئة
عليها أن تظلّ سمّا حيثما استقرّت(×)
ولن تفعل سمّها أبعد من ذلك .

كريولانـس : « عليها أن تظلّ ! »
اتسمعون سلطان الاسماك الصغيرة هذا ؟
اتلحظون « نهيه » الرهيب ؟

(×) اي ، في نفس صاحبها كمواطن عادي ، لا كقنصل .

كومنيـوس : انها مخالفة للقانون .

كريولانـس : « عليها أن تظل ! »
أيا أشرافاً كراماً ولكن بلا حكمة ،
أيا شيوخاً وقورين ولكن طائشين ، اهكذا
منحتم « هيدرة »[××] هنا حق اختيار موظف
لا تعوز الجرأة امراً ونهياً ،
وهو بوق الأفعى وجئيرها ،
ان يقول انه سيحوّل سيلكم الى خندق
ويتخذ مجراكم لنفسه ؟ فإن يكن قوياً ،
أحنوا جهلكم أمامه . وأن لم يكن ، أيقظوا
لينكم الخطر من سباته . ان كنتم علماء ،
فلا تكونوا كالحمقى من الناس . وان ينقصكم العلم ،
فليجلسوا على الحشايا بقربكم . انتم الدهماء
ان كانوا هم الشيوخ ، وما هم بأقلّ من ذلك
إذ تتمازج أصواتكم بأصواتهم فتجدون أن الطعم الطاغي
هو مذاقهم . انهم يختارون قاضِيَهم،
واذا هو رجل كهذا ، يجابه بأمره ،
بأمره الشعبي ، جمعاً من شيوخ
لم يعبس مثلهم شيوخ في اليونان . قسماً بجوبيتر ،
ان هذا ليحطّنّ من قدر القناصل ! ويحزّ في نفسي ،
عندما تقام سلطتان معاً لا تعلو
احداهما الأخرى ، أن أعلم ما أسرع ،
ما تقحم الفوضى نفسها في الشق بين الاثنتين
لضرب الواحدة بالثانية .

كومنيـوس : حسناً . هلموا الى ساحة السوق .

(××) افعى ذات تسعة رؤوس ، كان اوسطها خالداً . وقد كان قتلها احد واجبات هرقل . كلما قطع رأساً نبت مكانه رأسان ، ولكنه اخيراً حرق الرؤوس . أما الرأس الخالد فجعله تحت صخرة كبيرة . « هيدره » هنا كناية عن الجمهور « العديد الرؤوس » .

كريولانس : ومهما يكن اولئك الذين أشاروا بتوزيع
قمح الخزينة مجاناً ، فكما حدث
مرة في اليونان ـ

منينيوس : كفى ، كفى ، هذا الموضوع .

كريولانس : ولو أن الشعب هناك كان يتمتع بسلطة أطلق ـ
أقول ، انهم غذّوا العصيان ، واستعجلوا
خراب الدولة .

بروتس : ما الذي يدعو الشعب الى إعطاء صوته
رجلاً يتكلم هكذا ؟

كريولانس : سأسرد أسبابي ،
وهي أفضل من أصواتهم . وانهم يعلمون ان القمح
لم يكن مكافأة منا ، لعلمهم الوثيق
انهم ما قدّموا قط خدمة لقاءه : فلما دُفعوا الى الحرب ،
حتى عندما اصيبت الدولة في الصميم ،
رفضوا أن يعبروا أبواب المدينة ، وخدمة كهذه
لا تستحق القمح مجاناً . وإذا ما كانوا في القتال ،
لم يكن في تمرداتهم وثوراتهم ، التي ابدوا فيها
أقصى شجاعتهم ، امتداح لهم . والتهمة
التي كثيراً ما يوجهونها ضد مجلس الشيوخ ،
بغير ما سبب ، لا يمكن ان تكون وليدة
هبتنا الصريحة هذه . اذن ، ماذا بعد ؟
كيف يهضم هذا الصدر المتكاثر
كرم الشيوخ ؟ فلتعبّر الأفعال
عما يمكن ان تكون كلماتهم : « لقد طلبناه نحن ،
نحن السواد الأعظم ، ومن خوفهم الحقيقي
أعطَوْنا ما طالبنا به ! » هكذا نحن نحطّ
من شأن مناصبنا ، ونجعل الرعاع
يدعون همومنا مخاوف . وهذا مع الزمن

سيكسر اقفال مجلس الشيوخ لتدخله
الغربانُ وتنقرَ النسور

منني‍ــوس : حسبُك يا هذا .

بروتـــس : حسبك ، وأكثر !

كريولانـس : لا ، بل خذ المزيد .
وليكن كل ما تُقسَم الأَيْمانُ به ، من إلهيّ وانساني ،
شاهداً على خاتمة قولي . هذه السلطة المزدوجة ،
حيث الشق الواحد يحتقر عن حق ، والآخر
يهين بما يتجاوز العقل ، حيث الحسب والمكانة والحكمة
لا تستطيع أن تنهي امرأً إلا بنعم ولا
من العوام الجهلة ، لا بد لها ان تهمل
الحاجات الحقيقية ، وتنصاع عندئذٍ
للتفاهات القلقة : واذا حجبت الغاية ،
لم يبق شيء يفعل عن غاية . ولذا ، أرجوكم ،
انتم الذين تزيد الفطنة لديكم على الخوف ،
وتحبون جوهر الدولة
اكثر مما تخشون تغيّره ، وتؤثرون
الحياة النبيلة على الطويلة ، وتودّون
المجازفة بدواء خطر على جسم ،
موته محقق بدونه ، اجتثّوا على الفور
لسان الجماهير . لا تدعوها تلعق
الحلاوة التي هي سم لها : إن عاركم
يفسد عليكم سَداد الرأي . ويُفقد الدولة
تلك الوحدَة التي يجب ان تتحلّى بها ،
اذ تعجز عن فعل الخير الذي تبغيه
بسبب الشّر المتحكّم بها .

بروتـــس : لقد قال الكفاية !

سسنيوس : كخائن نطق ، وعليه تحمّل التبعة

ككل خائن .

كريولانـس : ألا ابتلعك الحقد ، أيها التعس !
ما نفع الشعب من هؤلاء التريبونات الأغبياء ؟
فاذا اعتمد عليهم ، خذلت طاعته
مجمع الشيوخ الأكبر . وانتخابهم ما تمّ
إلا في ثورة ، شريعتها هي ما لا محيد عنه ،
لا ما هو صالح وخير . وفي ساعة أفضل ،
لنقل ان ما هو صالح وخير هو الذي لا محيد عنه ،
ونقذف بسلطتهم عرض الحائط .

بروتـــس : خيانة جليّة !

سسنيـوس : أهذا قنصل ؟ كلا !

بروتـــس : يا رجال الأيديل(×) ، علينا بكم !

(يدخل ايديل)

الق القبض عليه !

سسنيـوس : اذهب ، وادع الشعب . (يخرج الايديل)
وباسم الشعب فانني أنا
أعتقلك كذي بدعة خائن ،
وعدو للمصلحة العامة . أطع ! اني آمرك ،
واتبعني لتلقى تبعتك .

كريولانـس : ابتعد ، أيها التيس العجوز !

الشيوخ والآخرون : اننا نكفله .

كومنيـوس : يا سيدي الشائب ، كُفَّ يَدَك .

كريولانس : ابتعد ايها النتن ! وإلاّ هززت عظامك
لتنفر من ثيابك .

(×) الشرطي هنا من نوع خاص يدعى « ايديل » . وهو ، في روما القديمة ، ضرب من حاكم يناط به واجب الاشراف على المباني والأراضي العامة ،وهذا استتبع له عدداً كبيراً من المهام الادارية والشرطية .

سسنيـوس : النجدة يا مواطنون !

(يدخل جمع خليط من المواطنين، مع رجال الايديل)

منيـــوس : كلا الجانبين ، احتراماً اكثر !

سسنيـوس : هنا،هو ذاك الذي يريد تجريدكم من كل سلطة .

بروتـــس : اقبضوا عليه ، يا شرطة !

مواطنـــون : فليسقط ! فليسقط !

شيوخ وآخرون : السلاح ، السلاح ، السلاح !

(يصخب الكل حول كريولانس، صارخين).

التريبونات ! الأشراف ! المواطنون ! هيا ، هيا !
سسنيوس ! بروتس ! كريولانس ! يا مواطنين !
اسكتوا ، اسكتوا ! كفى ، كفّوا ، اسكتوا !

منيـــوس : ما الذي سيحدث ؟ انقطع نَفَسي ،
دنت الفوضى . لا أقوى على الكلام . انتم ،
يا تريبونات الشعب ، كريولانس ، صبراً !
تكلم ، ايها الفاضل سسنيوس .

سسنيـوس : ايها الشعب ، اسمعوني ! اسكتوا !

مواطنون : لنسمع تريبوننا ! سكوتاً ! تكلم ، تكلم .

سسنيـوس : انكم على وشك فقدان حرياتكم .
فمارسيوس يريد تجريدكم من كل شيء .
مارسيوس الذي عينتموه قنصلاً مؤخراً .

منيـــوس : عيب ، عيب !
انك على هذا النحو لا تطفىء ، بل تُشعل .

شيخ أول : تَهدم المدينة ، وتقوّض كل شيء .

سسنيـوس : وهل المدينة إلاّ الشعب ؟

مواطنون : حقاً ،

الشعب هو المدينة .

بروتـــس : لقد تثبّتنا ، برضا الجميع ،
قضاة للشعب .

مواطنون : وما زلتم كذلك .

منـنيـوس : محتمل جداً .

كومنيـوس : هذه هي الطريق الى تقويض المدينة ،
وهدم السقف على الأساس ،
ودفن كل شيء ظاهر المعالم
تحت ركام وأكوام من الخرائب .

سسنيـوس : عقاب هذا ، الاعدام .

بروتـــس : اما أن نتشبّث بسلطتنا ،
أو فلنفقدها . اننا هنا ننطق بالحكم ،
نيابة عن الشعب ، الذي اختارنا
بسلطته للنيابة عنه : مارسيوس يستحق
الاعدام في الحال .

سسنيـوس : ولذلك ، اعتقلوه !
واحملوه الى الصخرة « الطاربية »(×) ، ومنها
القوا به الى حتفه .

بروتـــس : ايها الايديل ، اقبض عليه !

مواطنـون : سلّم نفسك يا مارسيوس !

منـنيـوس : كلمة واحدة مني ، اسمعوها ،
ارجوكم ايها التريبونات ، كلمة واحدة فحسب ، اسمعوها .

الايديــل : صمتاً ، صمتاً !

منـنيـوس : كونوا بالفعل ، كما تبدون ، اصدقاء وطنكم ،

(×) اصغر التلال السبعة وأشهرها التي بنيت عليها روما . تنتهي في طرفها الجنوبي الى هاوية عميقة ، كان يُلقى فيها مجرمو الدولة .

وسيروا باعتدال الى هذا الذي تريدون
تصحيحه بالعنف .

بروتـــس : سيدي ، هذه الأساليب الباردة
التي تبدو أشبه باسعافات حكيمة ، شديدٌ سُمُّها
اذا كان الداء عنيفاً . اعتقلوه
واحملوه الى الصخرة .

كريولانـس : لا ، بل سأموت هنا (يجرّد سيفه)
بينكم من رآني أقاتل .
تعـالوا ، جـرّبوا عـلى انفسكم مـا رأيتموني أفعله .

منيـــوس : اخفض ذلك السيف ! يا تريبونات ، انسحبوا برهة .

بروتـــس : اعتقلوه !

منيـــوس : أنجدوا ! انجدوا مارسيوس ،
يا ذوي المروءة . انجدوه ، شيباً وشباباً !

مواطنون : فليسقط ، فليسقط !

(في هذا العراك، يغلب التريبونات والأيديل والشعب على أمرهم، ويندحرون الى خارج المسرح)

منيـــوس : اذهبوا الى بيوتكم ! اذهبوا ، هيا !
وإلّا خسرنا كل شيء .

شيخ ثانٍ : اذهبوا .

كريولانـس : اصمدوا !
ان لنا من أصدقاء بقدر ما لنا من أعداء .

منيـــوس : أننتهي بالأمر الى ذلك ؟

شيخ أول : لا سمحت الآلهة !
ارجوك أيها الصديق النبيل ، اذهب الى منزلك .
اتركنا لنعالج الأمر .

منيـــوس : لأن هذه قرحة بنا .

لا تستطيع شفاءها انت . اذهب ، ارجوك .

كومنيـوس : هيّا معنا يا سيدي .

كريولانـس : يا ليتهم كانوا برابرة - فهم برابرة
وان تكن روما نسلتهم . لا رومانيون ،
فهم ليسوا كذلك حتى ولو ولدوا كالبقر
على مدخل الكابتول .

منيــوس : اذهب .
لا تحمّل لسانك نبيل غضبك .
لكل يوم يوم مدين له .

كريولانـس : بوسعي في ظروف منصفة
أن أقهر أربعين منهم .

منيــوس : وأنا بوسعي .
أن أتناول زوجاً من خيرة رجالهم - التريبونيين ،

كومنيـوس : غير أن أغلبيّتهم الآن تتخطى الحساب .
والرجولة تدعى حماقة ان هي تصدّت
لبنيانٍ يتهاوى . فهلاّ برحتم
قبل عودة الغوغاء ؟ ان سخطهم يحطّم
كالسيول ، اذا هوت قلبت
ما كانت تحمله .

منيــوس : التمس اليك أن تذهب !
سأرى ان كان ذكائي المعهود مطلوباً
لدى الذين ليس لهم منه إلا القليل . لا بدّ من رَقْعِ
هذا الخُرْق بقماشة من أي لون .

كومنيــوس : هيا ، تفضّل معي .

(يخرج كريولانس، وكومنيوس، وآخرون)

شريف أول : لقد أفسد هذا الرجل مصيره .

منتيـوس : طبعه أنبل من أن يصلح لهذا العالم .
فهو لن يتملّق نبتون طلباً لصولجانه ،
ولا جوبيتر طلباً لجبروت رعده . قلبه فمه :
ما يصنعه صدره ، يطلقه لسانه .
واذا ما غضب ، نسي أنه يوماً
قد سمع للموت اسماً . (صخب من الداخل)
عدنا الى الروائع !

شريف ثانٍ : ليتهم كانوا في فراشهم !

منتيـوس : ليتهم كانوا في التيبر ! عليهم اللعنة ،
أما كان يستطيع ان يُحسن القول لهم ؟

(يدخل ثانية بروتس وسسنيوس مع الجمع الخليط)

سسنيوس : اين هذا الثعبان(×)
الذي يريد اهلاك أهل المدينة
ليكون وحده كل انسان ،

منتيـوس : يا حضرات التريبونات ..

سسنيوس : سيلقى به عن الصخرة « الطاربيه »
بأيدٍ صارمة . لقد قاوم القانون ،
ولذا فإن القانون ، زراية به ، لن يتيح له محاكمة
غير قسوة سلطة الجماهير ،
هذه التي يعتبرها هو صفراً .

مواطن أول : وليعلمن حق العلم
ان التريبونات الأفاضل هم أفواه الشعب ،
وأننا نحن أيديهم .

مواطنـون : بالضبط ، لا بد .

منتيـوس : سيدي ، سيدي ..

(×) كان المعتقد ان الثعبان الصغير يأكل الاحشاء التي ولدته . وكريولانس يصوّر هنا كمن يريد التهام المدينة التي انشأته ، ليبقى وحده فيها .

سسنيــوس : سكوت !

منتيـــوس : لا تصيحوا بالويل والثبور ، وطرادكم
بعد غير مؤكد .

سسنيــوس : سيدي ، كيف تأتّى لك
ان ساعدت في انقاذ الطريد ؟

منتيـــوس : إسمعني اتكلم :
كما أعرف مزايا القنصل ،
هكذا بوسعي أن أعيّن نقائصه .

سسنيــوس : قنصل ؟ أي قنصل؟

منتيـــوس: القنصل كريولانس .

بروتـــس : أهو قنصل ؟

مواطنــون : لا ، لا ، لا ، لا ، لا !

منتيـــوس : اذا سمح لي التريبونان ، واذا سمحتم لي أيها الطيبون ،
أن تسمعوني ، أرجو أن أقول كلمة أو اثنتين ،
لن تسببا لكم من الأذى
اكثر من اضاعة شيء من الوقت .

سسنيــوس : تكلم بإيجاز اذن .
لأننا مصرّون على القضاء على
هذا الخائن الثعبان . فطرده من هنا
ليس إلا خطراً واحداً ، أما ابقاؤه
فهو موتنا المحقق . ولذا فقد تقرر
أن يموت هذه الليلة .

منتيـــوس : لا سمحت الآلهة
لروما ، مدينتنا الشهيرة ، التي سطّر
عرفانها ، جميل أبنائها الجديرين
في كتاب جوبيتر نفسه ، أن تلتهم الآن أطفالها
كأمّ شاذة!

سسنيوس : انه داء يجب ان يستأصل .

منيـــوس : آه ، انه عضو فيه داء ،
مميت اذا بتر ، وشفاؤه سهل .
ما الذي فعل لروما مما يستوجب الموت ؟
قسماً لكم ، اذ راح يقتل الأعداء ،
فقد من الدم اكثر مما في عروقه منه
بوزن كثير ، استُنزف من اجل وطنه
أما أن ينزف وطنُه ما تبقىّ من دمه
فإنها لنا كلنا ، من يفعلها ومن يسمح بها ،
وصمةُ عارٍ الى أبد الآبدين .

سسنيـوس : هذا تحريف تام .

بروتـــس : اعوجاج محض . فهو عندما أحب وطنه ،
كرّمه الوطن .

منيـوس : اذا القدم أصيبت بالأُكال ،
لا تُحترم خدمتها لما كانت
عليه من قبل .

بروتـــس : لن نسمع المزيد .
الحقوا به الى بيته ، واقتلعوه منه .
وامنعوا داءه ، لشدة عدواه ،
من السريان بعد اليوم .

منيـوس : كلمة اخرى ، كلمة واحدة .
هذا الغضب النمريّ الأقدام ، يوم يرى
ضرر السرعة الطائشة ، سيربط وقد فات الاوان
اثقالاً رصاصية بأعقابه . سيروا وفق الأصول ،
خشية ان تثار الأحزاب ـ فهو محبوب ـ
وتنهب روما العظيمة بأيدٍ رومانية .

بروتـــس : لو كان الأمر كذلك ..

سسنيوس : ما هذا الكلام ؟
ألم نذق طعم طاعته ؟
ألم يضرب شرطتنا ؟ ألم يقاومنا ؟ هيا .

منينيوس : تأملوا هذا : لقد نشأ وترعرع في الحروب
منذ أن جرّد سيفاً ، ولم يحسن تلقّن
لغة الأدب . القمح والنخالة
يلقيهما معاً دونما تمييز . فأذنوا لي
أن أذهب اليه ، وأتعهد بالمجيء به
الى حيثُ يُستجوب على نحو قانوني ،
وفي أمان ، مهما يكن العقاب .

شيخ أول : أيها التريبونان الكريمان ،
هذا هو الأسلوب الانساني : أما الطريق الأخرى
فلن تكون إلا دموية ، ونهايتها
مجهولة لدى بدايتها .

سسنيوس : ايها الكريم منينيوس ،
فلتكن انت اذن كموظّف الشعب .
ايها السادة ، أخفضوا سلاحكم .

بروتس : لا تذهبوا الى بيوتكم .

سسنيوس : لقاؤنا في ساحة السوق .
(لمنينيوس) سننتظرك هناك .
واذا لم تحضر مارسيوس معك ، عدنا الى طريقنا الأولى .

منينيوس : سأحضره لكم .
(للشيوخ) ارجو مرافقتكم . عليه أن يأتي ، وإلاّ
فإننا مقبلون على ما هو أمرّ .

شيخ أول : تفضل . لنذهب اليه .

(يخرجون)

المشهـد الثـانـي

غرفة في منزل كريولانـس

(يدخل كريولانس وبعض الأشراف)

كريولانـس : ليهدموا كل شيء على رأسي . ليقدموا لي
الموت على العجلة أو على أعقاب خيول هائجة ،
أو فليكوّموا عشرة تلال على الصخرة الطاربيّة
ليمتد الانحدار سحيقاً .
الى ما لا يدركه البصر . ولكنني سأبقى ازاءهم هكذا أبداً .

شريف أول : فعلك هو الأنبل .

كريولانـس : يدهشني أن أمي
ما عادت تتفق معي ، وهي التي كانت
تدعوهم بالأذلّاء الصوفيين(×) ، بالخُشُب
التي تبيع وتشتري بالنقير ، تعرض حواسر الرؤوس
في كل مجتمع ، وتتثاءب ، وتجمد ، وتعجب ،
اذا ما وقف احد من طبقتي
ليتكلم عن السلام أو الحرب .

(تدخل فولومنيا)

(×) اي لابسي الصوف

عنك أتحدث :
لِمَ تمنيتِ لو كنت أكثر تلطفاً ؟ اتريدين مني
أن أخون طبيعتي ؟ الأحرى ان تقولي إنني تصرفت
كما هو دأبي أن أتصرف .

فولومنيــا : آه يا سيدي ، يا سيدي ،
كنت اتمنى لو انك تثبّت من لبوس سلطتك قبل أن تهرّئها .

كريولانــس : دعيني .

فولومنيــا : لكان بوسعك ان تكون الرجل الذي انت ،
بالتقليل من محاولتك ان تكونه : ولكانت
مناوأتهم ميولك أقلّ لو أنك
لم تكشف لهم عنها ،
قبل ان يفقدوا القوة على معارضتك .

كريولانـس : فليُشنقوا !
فولومنيــا : أجل ، وليُحرقوا أيضاً .

(يدخل منيوس وبعض الشيوخ)

منيــــوس : لا ، لا ، لقد بالغت في الخشونة ، بالغت بعض الشيء ،
عليك أن تعود وتصلح ما أفسدت .

شيخ أول : لا علاج ،
ان رفضت فعل ذلك ، إلّا أن تنشقّ
مدينتنا الطيبة شقين ، وتهلك.

فولومنيــا : ارجوك انتصح .
إن لي قلباً عنيداً كقلبك ،
ولكن لي عقلاً يرشدني الى استخدام غضبي
لنتيجة أبرع .

منيــــوس : أحسنتِ أيتها النبيلة !
قبل أن ينحني هكذا للقطيع ، لولا أن
نوبة الزمان العنيفة تتطلب ذلك دواء

للدولة كلها ، لارتديت درعي الذي
أكاد أعجز عن حمله .

كريولانـــس : وماذا عليَّ ان أفعل ؟

منينيـــوس : عد الى التريبونات.

كريولانـــس : طيّب ، وبعد ذلك ؟ وبعد ذلك ؟

منينيـــوس : تأسّف على ما قلت .

كريولانـــس : لهم ؟ لا أفعلها للآلهة ،
أفأفعلها لهم ؟

فولومنيـــا : إنك تكابر اكثر مما ينبغي .
ولو انك في ذلك على نبل عظيم
إلّا حين تحتّم الأزمات . لقد سمعتك تقول
ان الشرف والدهاء ، كصديقين متلازمين ،
ينموان في الحرب معاً : فاذا سلّمنا بذلك ، قل لي ،
ما الذي في السلم يفقده الواحد بسبب الآخر
فلا يجتمعان فيه ؟

كريولانـس : كفى ، كفى .

منينيـــوس : سؤال معقول .

فولومنيـــا : ان كان من الشرف في حروبك ان تبدو
على غير ما أنت ـ اذ تحقيقاً لغايتك
تتبنّى دهاءك ـ ما الخطأ
في أن يتلازم الدهاء والشرف في السلم
كما في الحرب ، ما دامت الحاجة
لكليهما متماثلة ؟

كريولانـــس : فيم اللجاجة هذه ؟

فولومنيـــا : لأن من الواجب عليك الآن أن تتحدث
إلى الشعب . لا بما توعز نفسك ،

ولا بما يلقّنك إياه قلبك ،
ولكن بكلمات كالتي يحفظها
لسانك ، وإن تكن كلها بنات حرام والفاظاً
لا يقرّها الصدق الذي في صدرك .
وهذا لن يمسّ شرفك
اكثر مما يمسّه استيلاؤك على مدينة بالفاظ معسولة ،
لولاها لجازفت بمصيرك
وبأخطار سفك دماء كثيرة .
اني لمستعدّة للتـظاهر بما ليس حقيقتي .
اذا ما تطلب مصيري ومصير اصدقائي عند الشدّة
ان أفعل ذلك بشرف . إني بهذا
زوجتك ، وابنك ، وهؤلاء الشيوخ ، والنبلاء .
أما أنت فتؤثر أن تُبدي لأجلاف عوامنا
قدرتك على العبوس،وتأبى رفدهم بابتسامة كاذبة
لكسب حبهم ، وضمان
ما قد يحطمه فقدان ذاك الحب .

مننيـــوس : ما أنبلكِ من سيدة !
(لكريولانس) هلم معنا . أحسن القول لهم . وبذا قد لا تنقذ
الحاضر الخطر فحسب ، بل تسترد
ما سبق أن فُقد .

فولومنيــا : ارجوك يا بني
ان تذهب اليهم ، وهذه القبعة بيدك .
واذ تمدها بعيداً هكذا ـ سايرهم بهذا ! ـ
وركبتك تقبّل الحجارة ـ فإن الحركة
في امور كهذه فصاحة ، وعيون الجهلة
اكثر علماً من الآذان ـ وتهز برأسك
كثيراً ، هكذا ، مصححاً قلبك الشامخ ،
وقد اتضع كالتوتة الناضجة التي
لا تقاوم لمسة اليد : قل لهم

انك جنديهم ، ولنشأتك في المعارك فإنك
لا تعرف ذلك الاسلوب الناعم الذي ، تعترف ،
كان يليق بك استخدامه في خطب ودّهم ،
كما يليق بهم الإصْرار عليه ، بيد أنك ستقولب ،
نفسك بعد اليوم ، ولا ريب ، على هواهم ،
بأقصى ما تملك من قوة وشخصية .

مننيـــوس : لو فعلت ذلك ،
كما تقول والدتك ، لوجدت قلوبهم ملك يديك .
فإن لهم مغفراتٍ ، إن سُئلوها ، بسخاءٍ ما لهم
من كلمات بلا جدوى

فولومنيـا : ارجوك الآن ،
إذهب وانتصح . ولو أنني أعلم أنك تؤثر
اللحاق بعدوّك في دوامة من نار
على تملّقه في خميلة مزهرة . هذا كومنيوس .

(يدخل كومنيوس)

كومنيوس : إني قادم من ساحة السوق . سيدي،من المستحسن
ان تجعل لك جماعة قوية ، أو أن تدفع عن نفسك
بالهدوء، أو الغياب . الجميع مغضبون .

مننيـــوس : الكلام الجميل فقط .

كومنيـوس : اعتقد ان ذلك مفيد
ان هو استطاع ان يكيّف روحه لذلك .

فولومنيـا : بل عليه ان يفعل ذلك .
ارجوك ، قل انك ستفعل ، وهلمّ لها .

كريولانـس : أعليّ أن أبرز لهم يافوخي الأجرد ؟
أعليّ بلساني الوضيع ان اكذّب قلبي النبيل
وأحمّله الأكذوبة ؟ حسناً ، سأفعلها .
ولكن ، لو كان المهدَّد بالضياع هذا الكيان بمفرده ،

قوام مارسيوس ، هذا ، فليسحقوه هباء
ويقذفوه بوجه الريح . الى ساحة السوق !
لقد اكرهتموني الآن على أداء دور
لن أنفخ فيه الحياة أبداً .

كومنيــوس : هيا ، هيا ، سنلقّنك .
فولومنيــا : ارجوك يا بني ، فكما قلتَ
إن مدحي جعل منك جندياً أول الأمر ،
هكذا ، لتحْظَىٰ بمدحي من جديد ، قم بدور
لم تقم به من قبل .
كريولانـس : حسناً ، لا بد لي منه .
اليك عني ، يا نوازعي ، ولتحلّ بي
روح عاهرة من العواهر ! ولتنقلب حنجرتي الحربية ،
التي ما تناغمت إلاّ وطبلي ، الى قصبة
رفيعة الصوت كالخصيّ ، أو كصوت عذراء
يهدهد الأطفال ليناموا ! ولتخيّم في خدّيّ
بسمات الأنذال ، ولتملأ كأسَيْ بَصَري
دموعُ صِبْية المدارس ! وليتحرّك بين شفتيّ
لسان المتسوّل ، وركبتايَ المسلحتان
اللتان ما انحنتا يوماً إلاّ في ركابي ، فلتنحنيا كركبَتَيْ
من يتسلّم احساناً ، لا ، لن أفعلها !
مخافة أن أكفّ عن اكرام حقيقتي ،
فأعلّم قلبي بفعل جسدي ضَعَةً تلصق به . .

فولومنيـــا : لك الخيار ، اذن .
إن استجدائي إياك اشدُّ مجلبةً للعار لي
من استجدائك اياهم . فليتحطم كل شيء : دع
امك تستشعر كبرياءك عوضاً عن ان تخشى
كِبْرَك الخَطِر ، فأنا أسخر من الموت
بقلب كبير مثلك . افعل ما يحلو لك .

شجاعتك كانت شجاعتي ، لقد رضعتها مني ،
أما كبرياؤك ، فأنت مدين بها لنفسك .

كريولانس : اقنعي ، ارجوك .
أماه ، اني ذاهب الى ساحة السوق .
لا تعنفيني بعد . سأنتزع حبهم بالدجل والألاعيب ،
وقلوبهم بالحيل والخدع ، وأعود الى البيت محبوباً
من ذوي المهن كلها في روما . انظري ؛ اني ذاهب ،
سلّمي لي على زوجتي . سأعود قنصلاً ،
وإلاّ فلا تركني الى ما يستطيعه لساني من نفاق بعد اليوم .

فولومنيا : افعل مشيئك .

(تخرج)

كومنيوس : هيّا ! التريبونات في انتظارك . سلّح نفسك
للاجابة بلطف . لأنهم مهيأون ،
كما سمعت ، بتهمٍ أقوى من تلك
التي اتهموك بها حتى الآن .

كريولانس : الكلمة هي : « بلطف » ! ارجوكم ، تفضلوا .
ليتهموني تلفيقاً ، أما أنا .
فسأجيب بما يليق بشرفي :

مننيوس : نعم ، ولكن بلطف .

كريولانس : حسناً ، بلطف . بلطف ، اذن !

(يخرجون)

المشهـــد الثـــالـــث

المنتـــدى في رومـــا

(يدخل سسنيوس وبروتس)

بروتـــس : بهذا الأمر اتهمْه بقوة ، وهو أنه يستهدف
سلطة المستبد ، فاذا راوَغنا بذلك
شدّد عليه بأنه يُبغض الشعب ،
وأن الغنائم التي أخذت من الأنتياتيّين
لم توزّع قط .

(يدخل ايديل)

ماذا ، هل سيأتي ؟

ايديـــل : إنه آتٍ .

بروتـــس : من يرافقه ؟

ايديـــل : منينيوس الشيخ ، والشيوخ الآخرون
الذين دائماً أحبوه .

سسنيـوس : هل لديك قائمة
بالأصوات كلها التي حصلنا عليها ،
مدونة وفق سجل الناخبين ؟

ايديـــل : نعم ، انها جاهزة .

سسنيوس : هل جمعتها حسب العشائر[×] ؟

ايديـــل : نعم .

سسنيـوس : ادع الشعب الى التجمع هنا في الحال .
وحالما يسمعونني أقول ،« هكذا أمرنا ،
بحق وقوة العوام » » ، سواء أكان ذلك
بالموت ، أو الغرامة ، أو النفي ، دعهم عندئذٍ .
اذا قلت غرامة ، يصيحون « غرامة ! » ، أو الموت ،
يصيحون « الموت ! » .
مصرّين على الحقّ العتيد .
والقوة الكامنة في صدق القضية .

ايديـــل : سأخبرهم .

بروتـــس : واذا ما بدأوا بالصياح
لا تدعهم يكفّون ، بل دعهم باللغط والجلبة
يفرضون التنفيذ الفوري
لما قد ننطق به من حكم .

ايديـــل : حسناً جداً .

سسنيوس : ليكونوا أقوياء، ومستعدين لهذه الأشارة ،
حالما نعطيهم إياها .

بروتـــس : اذهب لمهمتك .

(يخرج الايديل)

أثر سخطه رأساً . لقد اعتاد
دوماً قهر الآخرين ، والتغلب بقدرته
على المعارضة[××] ، ولكنه اذا استُفزّ ، عجز
عن كبح نفسه أو ضبطها . وعندها قال

(×)« العشائر » Tribes عند الرومان كانت فئات الشعب السياسية ، وهي ثلاث عشائر للأشراف ، وثلاثون للعوام .

(××) العبارة في الأصل قد لا تعني هذا بالضبط . وقد اختلف فيها الباحثون الشكسبيريون .

ما في قلبه ، وما في قلبه يبدو أنه ،
بعون منا ، سيدقّ عنقه .

سسنيـوس : ها هو قادم .

(يدخل كريولانس، منتيوس، كومنيوس، شيوخ، أشراف.)

منتيــوس : بهدوء ، أتوسل اليك .

كريولانـس : أجل ، كالسائس الذي يتحمل ، لقاء فلسين ،
ان يدعى وغداً بالجملة . ألا حفظت الآلهة الكريمة
لروما أمنها ، وأبقت كراسي العدل
مليئة بذوي الفضل والمروءة ! وغرست الحب بيننا !
وحشدت هياكلنا الفسيحة بظواهر السلم
لا شوارعنا بظواهر الحرب !

شيخ اول : آمين ، آمين .

منتيــوس : أمنية نبيلة !

(يدخل الأيديل ثانية، مع المواطنين)

سسنيـوس : اقتربوا ، ايها الناس .

الشرطــي : أصغوا الى تريبوناتكم . اسكتوا ، واسمعوا !

كريولانـس : أولاً ، اسمعوني اتكلم .

التريبونان : تفضل . اسكتوا يا قوم !

كريولانـس : الن توجهوا اليّ مزيداً من الاتهام بعد هذا ؟
هل سيحسم الأمر هنا ؟

سسنيــوس : انني سأسأل :
هل تخضع لأصوات الشعب ،
وتعترف بموظفيه ، وترضى

بمحاسبتك قانونياً على الأخطاء
التي قد تُبرهَن في حقك ؟

كريولانس : أرضى .

مننيوس : انظروا ايها المواطنون ، يقول انه يرضى .
الخدمات الحربية التي أتاها ، اعتبروها . تأملوا
الجروح التي يحملها جسده ،والتي تتبدّى
كالقبور في تربة مقدّسة .

كريولانس : خدوش بالشوك ،
ونُدَبٌ تثير الضحك لا غير .

مننيوس : ولاحظوا أيضاً ،
عندما لا يتكلم كمواطن ،
فإنكم تجدونه يتكلم كجندي ، لا تعتبروا
نبراته الخشنة اصواتاً حاقدة
بل ، كما قلت ، أمراً خليقاً بجندي
ولا يضمر سوءاً لكم .

كومنيوس : حسناً ، حسناً ، كفى .

كرريولانس : ما الأمر ؟
ما كدت أنتخب قنصلاً باجماع الأصوات
حتى طعنتم فيّ ، وفي الساعة نفسها
سحبتم أصواتكم ؟

سسنيوس : أجبنا أنت .

كريولانس : تكلم اذن . صحيح ، علي أنا أن اجيب .

سسنيوس : اننا نتهمك بأنك تآمرت على
تجريد روما من كل منصب وطيد
وعلى الانتهاء بنفسك الى تسلّط دكتاتوريّ ،
وبهذا تكون خائناً للشعب .

كريولانـس : ماذا ؟ خائن ؟

منيـــوس : بلطفٍ ، كما وعدت .

كريولانـس : لتلتهم الشعبَ نيرانُ جهنم السفلى !
أتدعوني خائناً ؟ أيها التريبون المَهين !
لو قعد في عينيك عشرون ألفَ موتٍ ،
وفي يديك لو قبضت من الموت عشرين مليوناً
وفي لسانك الكاذب كلا العددين معاً ، فإني أقول
لك : « كاذب أنت » بصوت حرّ
كذاك الذي أبتهل به الى الآلهة .

سسنيوس : اترون ذلك يا قوم ؟

مواطنـــون : الى الصخرة به ، الى الصخرة !

سسنيـوس : صمتاً !
اننا في غنى عن اضافة مادة جديدة الى اتهامه :
فما رأيتموه يفعل وسمعتموه ينطق ،
ضارباً مسؤوليكم ، شاتماً إياكم ،
مقاوماً القوانين بالضرب ، وهنا متحدياً
هؤلاء الذين لهم عظيم السلطة لمحاكمته : هذا كله
عمل جرمي ومن أكبر أنواعه ،
ويستحق أقصى الموت .

بروتـــس : ولكن حيث أنه أدى
لروما خدمات طيبة ..

كريولانـس : ما الذي تلغو به عن الخدمات ؟

بروتـــس : اني اتحدث عما أعرفه .

كريولانـس : أنت ؟

منيـــوس : أهذا ما وعدت به أمك ؟

كومنيـوس : اعلم ، أرجوك ..

كريولانـس : لا ، كفاني علماً !
ليحكموا عليّ بالموت بالصخرة « الطاربيه » الشاهقة ،
بالنفي والتشريد ، بالسلخ ، بالسَّجن للعيش
على حبة واحدة في اليوم ، فإني لن ابتاع
رحمتهم بسعر كلمة جميلة واحدة .
ولن أكبح شجاعتي لقاء ما بوسعهم أن يهبوه ،
حتى ولو بقولي لهم « صباح الخير » .

سسنيـوس : حيث أنه
من حين الى حين ، وبقدر ما يستطيع ،
ضغن على الشعب ، باحثاً عن وسيلة
ينتزع بها سلطتهم ، كما أنه الآن أخيراً
تعدّى بالضرب ، لا في حضرة
العدالة المهيبة فحسب ، بل ايضاً على الذين
يوزّعونها . فإننا باسم الشعب
وبالسلطة المخوّلة لنا ، نحن التريبونات ،
ننفيه من مدينتنا منذ هذه اللحظة .
وعليه ألّا يدخل أبداً مرة اخرى
أبواب مدينتنا روما ، وإلّا عوقب
بالقائه من الصخرة « الطاربية » : باسم الشعب ،
وجب التنفيذ !

مواطنـون : وجب التنفيذ ، وجب التنفيذ ! ليخرج !
ليُنْفَ ! ولسوف يُنفى !

كومنيـوس : اسمعوني ، يا سادتي ، يا صحبي العوام ..

سسنيـوس : لقد حُكم . لن نسمع بعد .

كومنيـوس : دعوني أتكلم .
لقد كنت قنصلاً ، وبوسعي أن أُري روما
آثار أعدائها على جسدي . اني أُحب
الخير لبلدي حبّاً يزيد طراوة ،

وعمقاً وقدسية ، على حبي لحياتي ،
لكرامة زوجتي العزيزة ، لثمرة رحمها ،
وجوهرة حَقَوَيّ . فإن أَقُلْ اذن ..

سسنيوس : نعلم قصدك . فإن تقل ماذا ؟

بروتس : لم يبق ما يقال . انه منفيّ ،
كعدو لشعبه ووطنه :
لقد وجب التنفيذ .

مواطنون : وجب التنفيذ ، وجب !

كريولانس : يا عوامّ ، يا كلاباً نابحة أمقت انفاسها
كضباب المستنقعات النتنة ، واثمّن حبها
كما أثمّن جِيَفَ الموتى التي لم تُدفن
فأفسدت هوائي : إني انفيكم انتم !
امكثوا هنا في قلقكم !
وأعداؤكم ، بمحض هزّ الريش في هاماتهم ،
لسوف يشعلونكم يأساً ! لتكن لديكم السلطة دوماً
لنفي حُماتكم ، حتى يؤدي بكم في النهاية جهلُكم
الذي لا يُرى إلاّ بوخز الحسّ ،
غير عابىء حتى بكم
يا أعداء أنفسكم ، الى تسليمكم
كأحطّ الأسرى لأمّة ما
تقهركم دونما ضربة واحدة ! من اجلكم
احتقر المدينة ، وأدير لها ظهري هكذا .
ثمة عالم في مكان آخر .
(يخرج كريولانس، كومنيوس، مننيوس، الشيوخ، والأشراف).

الايديل : عدو الشعب قد ولّى وراح !

مواطنون : عدونا قد نفي ! وولّى ! هاي ! هاي !

(يصيحون ويقذفون بقبعاتهم في الهواء)

سسنيوس : اذهبوا ، وطاردوه حتى الأبواب ،
كما طاردكم ، بكل حقد وشماتة .
أزعجوه إزعاجاً يستحقه . واجعلوا حَرَساً
يرافقنا خلال المدينة .

مواطنون : هيا ، هيا نطارده حتى الأبواب .
حفظت الآلهة تريبوناتنا الكرام ! هلمّوا .

(يخرجون)

الفصل الرابع

المشهد الأول

روما، قرب أحد أبواب المدينة

(يدخل كريولانس، فولومنيا، فرجيليا، منينيوس، كومنيوس، مع الشباب من أشراف روما.)

كريولانس : كفّوا عن الدموع . وداع مختصر . فالوحش
ذو الرؤوس العديدة ينطح بي بعيداً . أماه ،
أين شجاعتك القديمة ؟ كنت تقولين
إن الشدة امتحان النفوس ،
وإن العاديّ من الحظوظ بوسع العاديين تحمله .
وان البحر اذا هدأ كانت السفن في حذق الاقلاع
سواسية ، وطعنات الدهر
اذا اشتد وقعها ، لا بد لنا ، حفاظاً للاباء ونحن نُجرح ،
من نبل الحكمة . والعقل . لقد دأبت على تحميلي
مبادىء تجعل القلب الذي يحفظها
قوياً لا يقهر .

فرجيليا : يا للسماء ، يا للسماء !

كريولانس : لا يا امرأة ، أرجوك..

فولومنيا : ألا لفّ الطاعون الأحمر كل ذوي المهن في روما !
ألا جرف الموت كل ذي حرفة !

كريولانـس : هوّني عليك !
سيحبونني اذ يفتقدونني . أماه ،
استعيدي تلك الروح أيام اعتدت ان تقولي
لو كنت زوجة هرقل
لقمت بستة من واجباته الرهيبة ، ووفّرت
على زوجك كثيراً من العرق . كومنيوس ،
لا تكتئب . الوداع ، وداعاً ، زوجتي ، أمي .
سأحسن الفعل بعد . وأنت يا منّنيوس ، ايها الشيخ الوفي ،
دموعك أملح من دموع فتى شاب ،
وزعاف لعينيك . . . يا قائدي سابقاً
لقد رأيتك صارماً ، ولطالما شاهدت أنت
مشاهد تفتّت القلب . قل لهؤلاء النسوة الحزينات ،
البكاء على نوازل لا مردّ لها جنون
كما هو الضحك منها . أماه ، انك تعلمين
أن مخاطري كانت دوماً لك تسلية ،
فلئن اذهب بمفردي ، كتّنين مستوحد
يرهب الناس مستنقعه ويتحدثون عنه اكثر مما يرونه ،
فلا تصدّقي بيسر أن ابنك
سيفتئت على العرف ، أو يقع فريسة
لطعم مخادع أو حيلة ماكرة .

فولومنيـــا : يا فخر البنين ،
أنّى تتجه ؟ خذ الفاضل كومنيوس
معك بعضاً من الزمن . صمم على نهج ما
ولا تعرّض نفسك لكل صُدْفة هوجاء
تلوح في الطريق أمامك .

كريولانـس : يا للآلهة .

كومنيـــوس : سأتبعك شهراً ، وأدبّر معك
مكاناً لراحتك ، لكيما تسمع منا

ونسمع منك : فاذا ما الزمن واتانا
بسبب لاستدعائك ، لن نرسل
الرسل في الدنيا الواسعة كلها بحثاً عن رجل ،
فنخسر اللحظة المؤاتية ، وهي التي تفقد حرارتها
بغياب من هو بحاجة اليها .

كريولانس : وداعاً !
محمّل أنت بالسنين ، ومتخم بالحروب ،
فلا تَرُحْ وتطوف مع امرىء
لم يعرف بعد الخدوش . رافقني الى خارج باب المدينة ، وكفى .
هلموا يا زوجتي الحلوة ، يا أمي العزيزة ،
يا أصدقائي الكرام المجرّبين : اذا ما خرجت ،
ودّعوني ، وابتسموا . ارجوكم ، هلمّوا ،
ما دمت فوق التراب فإنكم
ستسمعون دائماً مني ، ولن تسمعوا عني
إلا ما كان في السابق من شأني .

منيوس : حقاً ، ان هذا خير ما تسمعه اذن .
لا تدعونا نذرف الدمع .
لو استطعت ان انفض محض سبع سنوات
عن ذراعيّ وساقيّ الشائخة هذه وحق الآلهة الكريمة ،
لسرت معك كل شبر .

كريولانس : أعطني يدك . هيّا .

(يخرجون)

المشهـــد الثـــاني

روما، شارع قرب باب المدينة

(يدخل سسنيوس، وبروتس، وشرطي)

سسنيوس : مُرهم جميعاً بالانصراف الى بيوتهم . لقد ذهب : فَحَسْبُنا .
وقد انزعج الأشراف ، ورأيناهم ينحازون
الى جانبه .

بروتـــس : الآن وقد أظهرنا قوتنا ،
لنبدِ من التواضع بعد أن فرغنا من الأمر
اكثر مما أبدينا ونحن في صدده .

سسنيوس : مرهم بالانصراف الى بيوتهم .
قل ان عدوّهم الكبير قد راح ، وأنهم
عادوا الى ما كانوا عليه من قوة وبأس .
(يخرج الشرطي)

بروتـــس: اصرفهم الى بيوتهم .
هذه أمه قادمة .

سسينوس : لنبتعد عن لقائها .

بروتـــس : لماذا ؟

سسنيوس : يقولون انها مجنونة .

بروتـــس : لقد لاحظونا . استمر في طريقك .

(تدخل فولومنيا، وفرجيليا، ومننيوس.)

فولومنيـا : آه ، ما أجمل لقاءكم ! ألا جازت الآلهة حبكم
بمخزون طاعونها !

مننيـوس : اهدأي ! لا ترفعي صوتك هكذا .

فولومنيـا : لو لم يمنعني عن ذاك بكائي ، لسمعت ـ
بل لسوف تسمع بعضاً منه ـ (لبروتس) أذاهب أنت ؟

فرجيليـا : (لسسنيوس) أبقِ انت ايضاً . ليتني استطعت
ان اقول ذلك لزوجي .

سسنيوس : هل أنت من معشر الرجال(*) ؟
فولومنيـا : نعم ، يا غبي . وهل من عيب في ذلك ؟ اليكم هذا الغبي .
الم يكن أبي رجلاً ؟ هل انت من معشر الثعالب**
لتنفي ذاك الذي انزل من الضربات من اجل روما
بقدر ما نطقت انت من كلمات ؟

سسنيوس : اعينيني يا سماء !

فولومنيـا : ومن الضربات النبيلة اكثر مما عرفت من كلمات حكيمة .
ولصالح روما . سأقول لك ـ ولكن اذهب.
بل ابق انت ايضاً . أتمنى لو ان ابني
في البادية وعشيرتك أمامه ،
وسيفه الصارم بيده .

سسنيوس : ثم ماذا ؟

فرجيليـا : ثم ماذا !
لأنهى ذريتك كلها .

(*) يقول سسنيوس : Are you mankind قاصداً التورية : « هل انت من معشر الرجال » و « هل أنت بشر » ؟ فتجيب فولومنيا ، متجاهلة حقده المقصود بالمعنى الأول : « هل من عيب في ذلك ؟ » من المؤسف اننا لا نستطيع ان نترجم التورية الشكسبيرية بتورية عربية مماثلة . فاكتفينا بالمعنى الظاهري .

(**) كان الثعلب مضرب المثل في الخبث ونكران الجميل معاً .

فولومنيـــا : بما فيها من أولاد حرام .
يا للشهم والجروح التي يحملها من أجل روما !

مننيـــوس : أهدأي . أهدأي .

سسنيوس : يا ليته استمر لبلده
كما كان يوم بدأ ، ولم ينقض بنفسه
العقدة النبيلة التي عقد .

بروتس : يا ليته !

فولومنيـــا : « يا ليته ! » أنت الذي الهبت مشاعر الغوغاء ،
هذه القطط التي تدرك قدرة الحق
كما ادرك أنا الأسرار التي لا تريد السماء
أن تعرفها الأرض .

بروتـــس : رجاءً ، لننصرف .

فولومنيـــا : والآن ، رجاء ، يا سيدي ، انصرف .
ما أجمل ما فعلتم ! قبل ان تنصرف ، اسمع هذا :
بقدر ما يسمو الكابتول
على أحط منزل في روما ، هكذا ابني الذي
نفيتموه - زوج هذه السيدة هنا ، أترى -
يسمو عليكم جميعاً .

بروتـــس : طيّب ؛ طيّب ، سنغادركم .

سسنيوس : وفيم البقاء لتنقر بنا
امرأة فقدت عقلها ؟

فولومنيـــا : خذا دعائي معكما :

(يخرج التريبونان)

ليت الآلهة لا شغل لها سوى
تثبيت لعناتي ! لو أنني ألقاهما
مرة كل يوم ، لأرحت قلبي

من هذا الذي يثقله !

منينـــوس : لقد اغلظت لهما القول .
ويقيناً ، لك الحق . أتتعشيان معي .

فولومنيـــا : الغضب طعامي . اني اقتات على نفسي ،
فاذا أكلت مت جوعاً . هيّا بنا .
(لفرجيليا) دعي عنك هذه الهمهمة الخافتة ، وانتحبي مثلي ،
انتحاب الغضب ، مثل جونو* . كفى ، كفى .

منينـــوس : لا يا هذه ، لا يا هذه !

(يخرجون)

(*) زوجة رب الآلهة جوبيتر . وهي شديدة الحقد في غضبها .

المشهــــد الثـــالث

طريق عام بين روما وانتيوم

(يدخل رومانـي وفولسي، ويلتقيان)

رومانـي : أعرفك جيّداً ، يا سيدي ، وتعرفني . اسمك ، فيما أظن ، أدريان .

فولسي : نعم ، سيدي . حقاً ، لقد نسيتك .

رومانـي : انا روماني . وخدماتي ، كما تعلم ، ضدهم.
أما عرفتني بعد ؟

فولسي : نيكانور ؟ لا .

رومانـي : بل هو بعينه .

فولسي : كانت لحيتك اكثف عندما رأيتك أخيراً . غير أن وجهك تؤكده لهجتك . ما الأخبار في روما ؟ لديّ رسالة من الحكومة الفولسية للاتصال بك هناك . لقد وفّرت عليّ مسيرة يوم كامل .

روماني : كانت في روما انتفاضات غريبة ، اذ قام الشعب على الشيوخ والأشراف والنبلاء .

فولسي : كانت ؟ هل انتهت اذن ؟ حكومتنا لا تظن ذلك . فالتهيؤ للحرب عندها على قدم وساق ، وهي تأمل ان تفاجئهم وهم في حرارة انقساماتهم .

رومانـي : أشد لهيبها انقضى ، ولكن اية صغيرة ستلهبها من جديد . لأن النبلاء ناقمون على نفي ذلك الرجل الفاضل كريولانس ، حتى غدوا على أهبة تجريد الشعب

من كل سلطة ، وانتزاع تريبوناته منه الى الأبد . لا شك عندي ان هذا أمر متوقد ، ويوشك على الاندلاع العنيف .

فولسي : نفوا كريولانس !

رومانـي : نفوه ، نعم .

فولسي : ستلقى الترحيب بهذا النبأ يا نيكانور .

رومانـي : الظروف تواتيهم الآن . ورجلكم النبيل تلوس اوفديوس سيلمع في هذه الحروب ، ما دام خصمه العظيم كريولانس غير مرغوب فيه في بلده .

فولسي : لا بد أنه سيلمع . ما أسعد حظي بلقائك صدفة هكذا : لقد أنهيت مهمتي ، وسأرافقك مرحاً الى بيتنا .

رومانـي : سأحدثك بأغرب الأمور عن روما من الآن حتى العشاء . وكلها تميل الى صالح أعدائها . هل قلت ان لديكم جيشاً جاهزاً ؟

فولسي : ورائعاً . فالنقباء والذين بأمرتهم ، كل له مكانه ، والجميع مجيشون ، يكفي انذار ساعة لوضعهم على أهبة القتال .

رومانـي : يفرحني أن أعلم باستعدادهم ، وأغلب الظن ، انا الرجل الذي سيدفعهم قريباً الى الحركة . اذن ، مرحباً بك يا سيدي ، وأهلاً برفقتك .

فولسي : انك تأخذ دوري منّي يا سيدي ، فأنا الذي لديّ الداعي للسرور برفقتك .

رومانـي : لنذهب معاً .

(يخرجان)

المشهـــد الـــرابـــع

(يدخل كريولانس في زي حقير، متنكراً ومتلفّعاً)

كريولانس : انتيوم هذه مدينة بهية . ايتها المدينة ،
أنا الذي رمّلت نساءك . والعديد من وارثي
هذه المباني الجميلة سمعتهم في حروبي
يئّنون ويسقطون . لا تعرفينني اذن ،
لئلا تقتلني نساؤك بالسفافيد وصبيتك بالحجارة
في معركة صغيرة .
(يدخل مواطن)
مرحباً ، سيدي .

مواطـــن : مرحباً .

كريولانس : دلّني ، ان شئت ،
الى حيث يقيم اوفديوس العظيم . هل هو في انتيوم ؟

مواطـــن : نعم . ويقيم مأدبة لرجالات الدولة في منزله هذا المساء .

كريولانس : أين منزله ، ارجوك ؟

مواطـــن : هذا هو ، أمامك ، هنا .

كريولانس : شكراً ، سيدي . مع السلامة .

(يخرج مواطن)

ايه دنيا ، ما اكثر تقلباتك الزلقة ! صديقان حميمان
يبدو أن صدريهما يحملان قلباً واحداً .
مبيتهما أبداً معاً ، وكذا فراشهما ، طعامهما ،
رياضتهما ، كأنهما توأمان في حبّ
لا ينفصم ، واذا هما في ساعة من الزمن
لاختلاف على درهم ، يندلعان
في عداوة مريرة : وكذا ، عدوّان لدودان
أفسدت نومَهما الأحقادُ والمؤامرات
ليقضي كلاهما على الآخر ، واذا هما بصدفة ما ،
لتافه ما لا يساوي بيضة واحدة ، يغدوان صديقين حميمين
ويجمعان بين قضاياهما . هكذا الأمر معي :
اني اكره مسقط رأسي ، وخصصت بحبي
مدينة العدو هذه . سأدخل . فإن يصرعني
فهو انما يَعدل ويُنصف . وأن يهبني ما أريد
خدمت له بلده .

(يخرج)

المشهــــد الخامــــس

قاعة في منزل اوفـديوس، في انتيوم

(تسمع موسيقى من الداخل. يدخل خادم

خادم أول : شراب ، شراب ، شراب ! ما هذه الخدمة ! أعتقد أن زملاءنا نائمون .

(يخرج)

(يدخل خادم ثانٍ)

خادم ثانٍ : اين كوتس ؟ سيدي يطلبه . كوتس !

(يخرج)

(يدخل كريولانس)

كريـولانـس : منزل جميل . ما أطيب رائحة المأدبة ! ولكنني لا أبدو كالضيوف .

(يدخل ثانية الخادم الأول)

خادم أول : ماذا تريد يا صاح ؟ من أين أنت ؟ ليس هذا مكانك . ارجوك ، اذهب الى الباب .

(يخرج)

كريولانس : - بكوني كريولانس لم استحق معاملة أفضل من هذه .

(يدخل ثانية الخادم الثاني)

خادم ثان : من أين أنت يا سيد ؟ هل للبواب عينان في
رأسه فيسمح بالدخول لأناس كهذا ؟
أرجوك ، اخرج .

كريـولانـس : ابتعد !

خادم ثان : ابتعد ؟ أنت ابتعد !

كريـولانـس : انك تزعجني .

خادم ثان : اتتجرأ عليّ ؟ سأدعو من يخاطبك في الحال .

(يدخل خادم ثالث، ويلتقي به الخادم الأول)

خادم ثالث : من هذا الرجل ؟

خـادم أول : من أغرب من رأيت . ولا استطيع اخراجه
من المنزل . من فضلك ، ادع له سيدي .

خادم ثالث : ما الذي تبغيه هنا يا رجل ؟ أرجوك ، غادر المنزل .

كريـولانـس : دعني أقف ، فقط . لن أؤذي موقدكم .

خادم ثالث : من أنت ؟

كريـولانـس : سيد من السادة .

خادم ثالث : ولكن فقير عجيب الفقر .

كريـولانـس : بالضبط .

خادم ثالث : لطفاً ، ايها السيد الفقير ، اختر لك موقفاً
آخر . فهذا ليس مكانك . تفضل ، اخرج . هيا .

كريـولانـس : انصرف الى شغلك ، هيّا ، وعش على الفتات البارد .
(يدفعه عنه)

خادم ثالث : الن تخرج اذن ؟ ارجوك أخبر سيدي عن ضيفه الغريب هذا .

خادم ثان : سأخبره .

خادم ثالث: أين تقيم أنت ؟

كريـولانـس : تحت السرادق .

خادم ثالث : تحت السرادق ؟ .

كريـولانـس : نعم .

خادم ثالث : وأين يكون ؟

كريـولانـس : في مدينة الحدآت والغربان .

خادم ثالث : في مدينة الحدآت والغربان ! اذن انت تقيم مع الزيغان* كذلك ؟

كريـولانـس : كلا ، فأنا لا أخدم سيدك .

خادم ثالث : كيف ، يا سيد ؟ أتتدخل بشؤون سيدي ؟

كريـولانـس : نعم ، ما اكثر ثرثرتك . عليك بقصعتك
واخدم بها ! (يضربه ويدفعه عنه)

(يدخل اوفديوس مع الخادم الثاني)

أوفـديـوس : أين هذا الرجل ؟

خادم ثالث : هنا ، سيدي . أردت أن أضربه كالكلب ، لولا
خشيتي ازعاج السادة في الداخل . (يخرج)

أوفـديوس : من أين جئت ؟ ماذا تريد ؟ اسمك ؟
لماذا لا تنطق ؟ انطق يا رجل . ما اسمك ؟

كريـولانـس : (رافعاً اللفاع) ان كنت يا تلوس
لم تعرفني بعد ، ولا تحسبني حين تراني
الرجل الذي هو أنا ، فالحاجة
تأمرني بذكر اسمي .

أوفـديـوس : ما اسمك ؟

كريـولانـس : انه اسم ناشز في آذان الفولسيين .

(*) الزاغ نوع من الغراب ، غير ان الكلمة في الأصل daw تعني ايضاً « الأبله أو المغفّل » وهو المعنى الذي يقصده كريولانس في جوابه .

وتمجّ صوته أذنك

أوفـديـوس : قل ، ما اسمك !
مظهرك جهم ، وفي وجهك
علائم الأمر والنهي . لئن تكن أشرعتك ممزقة ،
فإن سفينتك تبدو نبيلة . ما اسمك ؟

كريـولانـس : هيّىء جبينك للعبوس : ألم تعرفني بعد ؟

أوفـديـوس : لا أعرفك . اسمك ؟

كـريـولانس : اسمي كايوس مارسيوس ، هذا الذي أصابك
انت بالذات ، والفولسيين كلهم ،
بجسيم الأذى والضرر . والشاهد على ذلك
لقبي « كريولانس » : فالخدمات المرهقة ،
والأخطار القصوى ، وقطرات الدم
النازفة من أجل بلدي العاقّ ، لم تُجْزَ إلاّ
بهذا اللقب ـ ذكرى طيبة ،
وشاهداً على الحقد والسخط اللذين
لا بد أن تكنّ لي . وحده هذا الاسم بقي .
والبقية التهمتها قسوة الشعب وضغينته
بإذن من أشرافنا الرعاديد الذين
هجروني جميعاً ،
وأتاحوا لأصوات العبيد أن
تطردني من روما . والآن هذه الضائقة .
أتت بي الى عقر دارك . لا أملاً
في انقاذ حياتي ، فلا تخطئني . لأنني
لو خشيت الموت ، من كل رجال الدنيا
لتجنبتك أنت . ولكن حقداً خالصاً
كيما انتقم من هؤلاء الذين نفوني ،
أقف هنا أمامك . فإن تكن
في قلبك نقمة فتبغي الانتقام

للاساءات التي لحقت بشخصك ، ولأم جراحات
العار التي ترى في بلدك ، أسرع على الفور
واجعل شقائي يخدم غايتك . استخدمه
بحيث تغدو خدماتي الناقمة
فوائد لك . لأنني سأقاتل
ضد بلدي المنخور بمرارة
شياطين الجحيم . ولكن اذا تبين
انك لا تجرؤ على هذا ، وأنك أتعب
من أن تجرب المزيد من الحظوظ ،
اذن ، بكلمة واحدة ، فإني أنا أيضاً
متعب من المزيد من الحياة ، وأقدّم
عنقي لك ولحقدك العتيد ،
فإذا لم تقطعه برهنت على حماقتك ،
لأنني ما طاردتك يوماً إلا بكراهية ،
وسحبت دناناً من الدم من صدر بلدك ،
ولا استطيع الحياة إلا لعارك ، أو ـ
لاسداء خدمة لك .

أوفـديـوس : مارسيوس ، مارسيوس !
ما نطقتَ بكلمة إلا واجتثتْ من قلبي
جذراً لحقد قديم . لو ان جوبيتر
فاه من تلك الغيمة بأمور إلهيّة
وقال : « هذا حق ! » لما صدّقته أكثر
منك ، يا كامل النبل يا مارسيوس . فلألفّ
ذراعيّ حول ذلك الجسم الذي ازاءه
تكسرت قناتي الصلبةُ مئةَ مرة
وجرَّحتْ وجهَ القمر بالشظايا . ها أنا أعانق
سندان سيفي* ، وأسابق
حبك بالحرارة والنبل نفسيهما

(*) يصفه بسندان سيفه لكثرة ما ضربه بسيفه ، كما يضرب الحداد السندان .

اللذين كنتُ بهما دوماً مع طامع القوة
أصارع شجاعتك . أعلم أولاً
أنني أحببت العذراء التي تزوجت ، وما تنهد
رجل نَفَسا أخلص مني . ولكن برؤ يتك هنا ،
أيها الجوهر الكريم ، فإن قلبي المنتشي ليرقص أكثر
مما فعل حين رأيتُ عروسي الحبيبة
تخطو فوق عتبتي . وحقّ مارس ، أقول لك
لدينا جيش مهيّأ ، وكنت قد عزمت
مرة أخرى على شق ترسك من عضلك
أو أفقد ذراعي أنا . لقد هزمتني
اثنتي عشرة مرة مختلفة ، ورحتُ كل ليلة
أحلم بالمجابهات بيني وبينك .
لطالما وقعنا معاً في منامي
نُسقط الخُوَذ ، ويلكم كلانا حنجرة الآخر ،
ثم أُفيق نصفَ مَيّتٍ على لا شيء . ايها الكريم مارسيوس
لو لم يكن لدينا نزاع مع روما سوى
نفيك منها ، لحشدنا الجميع ،
من أبناء الاثنتي عشرة الى السبعين ، وصببنا الوغى
في الأحشاء من روما العاقة
كيمّ جريء كاسح . تعال ، تفضل ،
صافح الشيوخ اصدقاءنا ،
الذين جاؤ وا يودّعونني
لتهيؤ ي للزحف على أقاليمكم ـ
ولو دون روما نفسها .

كريـولانـس : انك تباركينني ، ايتها الآلهة !

أوفـديـوس : ولذلك ، يا سيدي الخالص ، ان كنت تريد
ان تتولّى انتقاماتك بنفسك ، خذ
نصف قيادتي ، وقرّر ـ
فأنت سيد الخبرة ، وأنت أعلم

بمواطن القوة والضعف في بلدك ـ ما تَتّبع من سُبُل ،
هل تطرق أبواب روما
أم تأتيهم بفظاظة في أماكن نائية
كيما ترعبهم قبل تحطيمهم ـ ولكن ، ادخل .
دعني أوصي بك أولاً هؤلاء الذين
سيقولون نعم لرغباتك . مرحباً ، ألف مرحباً !
وصديقاً أكثر منك عدواً أبداً ـ
ولكن ما اكثر ما كان ذلك يا مارسيوس . هات يدك ، ومرحباً بك !

(يخرج كريولانس واوفديوس)

(يتقدم الخادمان)

خادم أول : هذا تحول غريب !

خادم ثانٍ : وحق يدي هذه ، خطر لي أن أضربه بالعصا .
إلا أن عقلي قال لي ان ثيابه تكذب النبأ عنه .

خادم أول : ما أقوى ذراعه ! لقد أدارني باصبعه وابهامه ،
كما تدير المصرع .

خادم ثانٍ : بل اني عرفت من وجهه أن به شيئاً ما ـ فإن له وجهاً ، حسبت ـ لا أعرف كيف أصفه .

خادم أول : بالضبط . يشبه كأنه يا ليتني أُشنق ، ولكنني حسبت ان فيه اكثر مما اظن . .

خادم ثانٍ : أقسم لك انني انا ايضاً حسبت ذلك : انه ببساطة رجل لا نظير له في العالم .

خادم أول : اعتقد ذلك . ولكن هناك جندياً اعظم منه ، انت تعرفه .

خادم ثان : من ، أسيدي ؟

خادم أول : طبعاً ، ولكن لا بأس .

خادم ثانٍ : بل يساوي ستة مثله .

خادم أول : لا بذاك المقدار . ولكنني اعتبره جندياً اعظم منه .

خادم ثانٍ : في الواقع ، كما ترى ، لا يعرف المرء كيف يقولها : ففي الدفاع عن المدينة ، قائدنا ممتاز .

خادم أول : نعم ، وفي الهجوم كذلك .

(يدخل الخادم الثالث)

خادم ثالث : يا عبيد ، عندي أخبار لكم ، أخبار ، يا أنذال !

خادم أول وثان : ما هي ، ما هي ؟ حدثنا .

خادم ثالث : لن أتمنى ان اكون رومانياً ، من كل أمم الأرض . فالروماني والمحكوم بالاعدام سواء بسواء .

خادم أول وثان : لماذا ، لماذا ؟ .

خادم ثالث : هنا جاءنا ذلك الذي كان من شأنه أن يضرب قائدنا على قفاه ، كايوس مارسيوس .

خادم أول : لم تقول « يضرب قائدنا على قفاه » ؟ لقد كان دائماً ندّاً له .

خادم ثانٍ : اسمعا ، فنحن زملاء وأصدقاء : لقد كان صعباً جداً عليه . هذا ما سمعته يقوله هو .

خادم أول : كان صعباً جداً عليه بشكل واضح ، فلنقل الصدق . وأمام كريولي راح يشرّحه ويحزّه كالكباب .

خادم ثانٍ : ولو كان من أكلة البشر ، لشواه وأكله أيضاً .

خادم أول : ولكن ، المزيد من أخبارك ؟

خادم ثالث : انهم يلغطون به في الداخل كأنه ابن الاله مارس ووريثه . أجلسوه في صدر المائدة ، وما من شيخ إلا يوجه سؤالاً إليه ، وقد وقفوا أمامه كالخُشُب . وقائدنا نفسه يجعل منه سيدة معشوقة ، يتبرّك بلمسة من يده ، ويدير بياض عينه لحديثه . إلا أن قرارة الخبر هي أن قائدنا مشطور من الوسط ، وما هو إلا نصف ما كان بالأمس ، لأن الآخر نال نصفه بالتماس ورضا من أهل الوليمة كلهم . وهو يقول انه سيذهب ويجرّ بواب روما من أذنيه : سيحصد الجميع أمامه حصداً ، ويترك ممرّه سالكاً لمن يتبعه .

خادم ثـانٍ : وسيفعلها كخير من استطيع تصوره .

خادم ثالث : يفعلها ؟ طبعاً سيفعلها . لأنه ، كما لا يخفى ، له من الأصدقاء بقدر ما له من الأعداء . وهؤلاء الأصدقاء ، يا صاح ، لن يجرأوا ، كما لا يخفى ان يبرزوا رؤوسهم ، كما نقول ، اصدقاؤه وهو في المعرّة .

خـادم أول : المعرّة ! ما المعرّة ؟ .

خادم ثالث : ولكن يا صاح ، عندما يرون هامته ترتفع من جديد ، والرجل مُدَمىّ كله ، سيخرجون من جحورهم ، كالأرانب بعد المطر ، ويبتهجون معه . .

خـادم أول : ولكن متى سيحدث ذلك ؟

خادم ثالث : غداً . اليوم . في الحال . ستسمع الطبل يقرع بعد الظهر ، فكأنه جزء من وليمتهم ، ولا بد من تنفيذه قبل أن يمسحوا شفاههم .

خادم ثان : اذن سنرى عالمنا ثانية في حركة . فهذا السلام لا شيء ، سوى انه يُصدىء الحديد ، ويكثر الخياطين ، ويُولِّد ملّحني الأغاني .

خادم أول : أعطني حرباً ، هذا ما أقوله أنا . فهي تزيد على السلم بقدر ما يزيد النهار على الليل . انها سير خفيف سريع مسموع ، مليء بالحيويّة . أمّا السلم فهو شلل ، خمول ، ثقيل ، أصم ، ناعس ، فاقد الحسّ .

خادم ثان : نعم ، ويجعل الناس يكره بعضهم بعضاً .

خادم ثالث : والسبب ؟ لأنهم حينئذٍ تقلّ حاجتهم لبعضهم البعض . اعطني الحروب دائماً . وارجو ان أرى الرومان يبخس قدرهم كالفولسيين . لقد نهضوا ، لقد نهضوا .

الثلاثة معاً : ادخلوا ، ادخلوا !

(يخرجون)

المشهـــد الســـادس

مكان عام في رومــا

يدخل سسنيوس وبروتس

سسنيــوس : لا نحن نسمع عنه ، وما علينا بخوف منه .
وما فعله لا يذكر ، في السلام الراهن
وهدوء الناس الآن ، وهم الذين كانوا قبلاً
في سرعة هوجاء . اننا هنا نجعل أصدقاءه
يحمرّون خجلاً من أن الدنيا بخير ، فهم يؤثرون -
وان يقاسوا لذلك - أن يروا
أعداداً من المتمردين تضجّ بهم الطرقات ، على رؤية
تجّارنا يغنون في حوانيتهم ، ويؤدون
وظائفهم بوئام .

بروتـــس : لقد واجهنا الأمر قبل فوات الآوان .
هل هذا منينيوس .

سسنيـوس : انه هو ، هو . لقد أصبح في منتهى الرقة مؤخراً .

(يدخل منيـوس)

مرحباً ، سيدي !

منيــوس : مرحباً بكليكما !

سسنيـوس : صاحبك كريولانس ، سيدي ، لا يفتقده كثيراً

إلا أصدقاؤه . الجمهورية قائمة ،
وستبقى قائمة حتى لو ازداد غضباً عليها .

منتيــوس : كل شيء بخير ، ولكان الوضع افضل بكثير
لو انه استطاع ان يمالىء ويماطل .

سسنيـوس : أين هو ، هل سمعت ؟

منتيــوس : لا ، لم أسمع شيئاً . أمه وزوجته
لم تسمعا شيئاً منه .

(يدخل ثلاثة مواطنين أو أربعة)

مواطنــون : حفظتكما الآلهة كليكما !

سسنيـوس : أهلاً بكم ، جيراننا .

بروتـــس : أهلاً بكم جميعاً ، أهلاً بكم جميعاً .

مواطن أول : نحن ونساؤنا وأولادنا ، نخرّ على الركب
مصلّين من اجلكما .

سسنيـوس : عشتم ، موفقين !

بروتـــس : مع السلامة ، أيها الجيران الكرام . نتمنى لو ان كريولانس
أحبّكم كما احببناكم

مواطنــون : حفظتكما الآلهة !

بروتس، سسنيوس : مع السلامة ، مع السلامة .

(يخرج المواطنون)

سسنيـوس : هذه أيام أسعد وأجمل ،
من تلك التي كان فيها هؤلاء القوم يركضون في الطرقات
متصايحين بالفوضى .

بروتـــس : كان كايوس مارسيوس
ضابطاً قديراً في الحرب ، غير أنه كان صلفاً ،

تركبه الكبرياء ، طموحه لا يدركه الفكر ،
ويعشق ذاته ..

سسنيـوس : عاقدا العزم على عرش بمفرده
ومن غير مساعدين

مننيــوس : لا أعتقد ذلك .

سسنيـوس : لو أنه بقي قنصلاً حتى الآن ،
لرأينا ذلك ، ولرحنا جميعاً نقرع سن الندم .

بروتـــس : لقد منعت ذلك الآلهة ، وها هي ذي روما
تجلس آمنة مطمئنة بدونه .

(يدخل ايديل)

ايديـــل : أيها التريبونان الفاضلان ،
ثمة عبد ، وضعناه في السجن ،
يخبرنا أن الفولسيين بجيشين مختلفين
قد دخلوا الأقاليم الرومانية
وراحوا ، بأعمق أحقاد القتال ،
يدمرون كل ما يلقون أمامهم .

مننيــوس : انه اوفديوس ـ
فهو حال سماعه بنفي مارسيوس
يقذف بقرنيه في العالم من جديد ـ
وقد كانا مقوقعين حين كان مارسيوس يدفع عن روما
ولم يجرؤا ولو مرة على البروز .

سسينـوس : ما هذا الحديث عن مارسيوس ؟

بروتـــس : اذهب ومر بجلد مروّج الشائعات هذا . لا يُعقل
أن الفولسيين يجرؤون على الخروج علينا .

مننيــوس : لا يُعقل !
لدينا سجلّ بأنه يُعقل جداً .

ثمة ثلاثة امثلة على ذلك .
منذ ان ولدت أنا . ولكن استفسروا الرجل
قبل ان تعاقبوه ، من أين سمع هذا ،
لئلاّ تجلدوا عن غير قصد مصدر إخباركم ،
وتنهنهوا الرسول الذي يوصيكم بالحذر
مما يجب الخوف منه .

سسنيوس : لا تقل لي :
أعلم أن هذا غير معقول.

بروتس : غير ممكن .

(يدخل رسول)

رسول : ان الاشراف جميعاً في طريقهم الى
مجلس الشيوخ ، وعليهم سيماء جدّ عظيم . جاءهم خبر ما
قلب وجوههم .

سسنيوس : انه هذا العبد .
اذهب واجلده أمام أعين الناس . انه مختلق .
لا شيء إلا خبره .

رسول : بل ان خبره ، سيدي الفاضل ،
مؤيدّ . والتقرير التالي
ارعب ، أرعب بكثير .

سسنيوس : ما هو الأرعب ؟

رسول : افواه كثيرة تلفظ به دون قيد ـ
ولا أدري أهو محتمل أم لا ـ وهو أن مارسيوس
انضم الى اوفديوس ، وهو يقود جيشاً ضد روما
وينذر بانتقام عريض كاسح
يشمل الصغار والكبار جميعاً .

سسنيوس : رائع ! محتمل جداً !

بروتـــس : اختلاق محض ، لكيما يتمنى ضعاف النفوس
لو ان « مارسيوس الشهم » يعود الى البلد .

سسنيـوس : خديعة ، لا غير .

مننيــوس : هذا غير ممكن
فهو واوفديوس لا يستطيعان الاتفاق
إلا بقدر ما تتفق أعنف الأضداد .

(يدخل رسول ثانٍ)

رسول ثان : يطلبونكم في مجلس الشيوخ .
ثمة جيش رهيب يقوده كاريوس مارسيوس
بالتحالف مع اوفديوس ، يزمجر
على أقاليمنا . وقد شق طريقه ، عاصفاً بالنار ، مستبيحاً
كل ما هو أمامه .

(يدخل كومنيوس)

كومنــيوس : ما أجمل ما صنعتم !

مننيــوس : ما الخبر ؟ ما الخبر ؟

كومنيــوس : لقد تعاونتم على
صهر رصاص المدينة فوق رؤوسكم ،
على رؤية نسائكم تغتصب تحت أنوفكم ..

مننيــوس : ما هو الخبر ؟ ما هو الخبر ؟

كومنيــوس : هياكلكم تحرق بطينها ،
وحقوقكم التي تشبثتم بها تحصر
في ثقب مخرز .

مننيــوس : أرجوك ، أخبارك ، ما هي ؟
أخشى انكما أبدعتما ! ـ أرجوك ، أخبارك ؟
اذا اتحد مارسيوس مع الفولسيين ـ

كومنيــوس : اذا !
انه إلههم : يقودهم كأنه شيء
خلقه اله غير الطبيعة ،
اله أبرع منها في صنع الانسان .و وهم يتبعونه
في هجومهم علينا نحن العجايا ، بثقة
كثقة صبية يلاحقون فراشات الصيف ،
أو جزّارين يقتلون الذباب .

منتيــوس : لقد أبدعتما ،
أنتما واصحابكما ذوو المرايل ، اذ رحتما تتشبثان
بأصوات ذوي المهن
وأنفاس أكلة الثوم !

كومنيــوس : ولسوف يهزّ مدينتكما
روما حول آذانكما .

منتيــوس : كما كان هرقل
يهز الاثمار الناضجة . لقد أبدعتما !

بروتـــس : ولكن هل هذا صحيح يا سيدي ؟

كومنــيوس : نعم ، ولسوف يشحب وجهك
قبل أن تجده غير ذلك . المقاطعات كلها
تثور مبتسمة ، ومن يقاومْ
يسخروا من جهله الجريء
ويَمُتْ ميتةَ الأبله الوفيّ . ومن يلومه ؟
أعداؤكم وأعداؤه يجدون فيه شيئاً ما .

منتيــوس : لقد قُضي علينا ، إلاّ
اذا أبدى لنا هذا النبيل الرحمة .

كومنيــوس : ومن سيطلبها ؟
التريبونات لا يستطيعون ذلك ، خجلاً . والشعب
يستحق منه الشفقة بقدر ما يستحقها

الذئب من الرعاة . أما أخلص أصدقائه ،
ان قالوا « تلطف بروما » ، فانهم قد أتهموه
كما فعل اولئك الذين استحقوا كرهه ،
وبدوا بذلك كالأعداء .

منينيـــوس : صحيح .
لو انه وضع ببيتي جمرة النار التي
ستلتهمه ، لما كانت عندي الصفاقة
لأقول له : « كفّ ، ارجوك ! »،ما أجمل ما صنعتما ،
انتما ومهرّجوكما ! ما أبدع ما هرّجتم !

كومنيـــوس : لقد انزلتما
رجفة بروما لم تكن قط كما هي اليوم
في منأى عن كل عون .

التريبونان : لا تقل نحن انزلناها.

منينيـــوس : من اذن ؟ أنحن ؟ نحن احببناه . غير أننا وحوشاً
وأشرافاً جبناء ، خضعنا لعجاجكما
الذين أخرجوه بعجيجهم من المدينة .

كومنيـــوس : ولكن اخشى
أنهم سيدخلونه ثانية ، بجئيرهم . ان تلوس اوفديوس ،
ثاني أسماء الرجال شهرة ، ليطيع أوامره
كأنه ضابط بأمرته . ان تستيئس روما
هو كل ما بوسعها ان تبدي ازاءهما
من سياسة ، وقوة ، ودفاع .

(يدخل رهط من المواطنين)

منينيـــوس : جاء العجاج !
وهل أوفديوس معهم ؟ انكم انتم الذين
أفسدتم الهواء عندما رحتم تقذفون
بقبعاتكم العرقة النتنة ، وتزعقون

لنفي كريولانس . انه الآن آتٍ ،
وما من شعرة في رأس جندي
إلّا وتتحول الى سوط . وبقدر ما رفعتم
من قبعات سيهوي رؤوساً جوفاء
ويجزيكم على أصواتكم . لا بأس .
لو استطاع حرقنا جميعاً وجعلنا فحمة واحدة
لما فعل إلا ما نستحق .

مواطنــون : الحق ، لقد سمعنا أخباراً مريعة .

مواطن أول : أما أنا ،
فعندما قلت « انفوه » ، قلت « مع الأسف » .

مواطن ثانٍ : وأنا أيضاً .

مواطن ثالث : وأنا أيضاً ، واذا اردت الصدق ، هذا ما قاله الكثير منا .
وما فعلناه ، فعلناه بأخلص النيات . ولئن رضينا بنفيه طائعين ،
فإن نفيه كان ضد إرادتنا .

كومنــيوس : ما أجملكم ، أنتم وأصواتكم !

مننيــوس : ما أروع ما صنعتم
انتم وقطيعكم ! انذهب الى الكابتول ؟

كومنيــوس : أجل ، وهل لنا غير ذلك ؟

(يخرج كومنيوس ومننيوس)

سسنيـوس : هلمّوا يا سادة ، الى بيوتكم . لا تفزعوا .
ما هؤلاء إلا فئة سيفرحها
أن ترى الذي تخشاه ، يتحقق . الى بيوتكم ،
ولا تظهروا علائم الخوف .

مواطن أول : لترفق بنا الآلهة ! تعالوا يا سادة ، لنذهب الى بيوتنا .
انا كنت دائماً أقول اننا اخطأنا عندما نفيناه .

مواطن ثانٍ : كلّنا قلنا ذلك . ولكن، هيا ، الى البيت .

(يخرج المواطنون)

بروتـــس : لا يروق لي هذا الخبر .

سسنيـوس : ولا لي .

بروتـــس : لنذهب الى الكابتول . ليتني أعطي نصف مالي لأجعل من هذا الخبر اكذوبة !

سسنيـوس : ارجوك ، لنذهب .

(يخرجان)

المشهـــد السابـــع

معسكر على مسافة قصيرة من روما

(يدخل أوفديوس وملازمه)

أوفديوس : أما زالوا يهرعون الى الروماني ؟

مــــلازم : لست أدري ما السحر الذي فيه ،
غير أن جنودك يستعملون صلاتهم قبل الأكل ،
حديثهم على المائدة ، وشكرهم في النهاية .
لقد حاق بك الخسوف ، يا سيدي ، بهذا الفعل
حتى لدى صحبك .

أوفديوس : لا حيلة لي بذلك الآن ،
إلا ، إن أنا أعملت الدسيسة ، أن أُعْرِجَ
خطتنا . حتى ازاء شخصي أنا
فإنه يتصرف بكبرياء أشمخ مما حسبته سيفعل
عندما عانقته أول مرة . غير أن طبيعته
في ذلك لا تتقلّب . وعليّ أن أغدر
ما يتعذر صلاحه .

مــــلازم : ومع ذلك ، فيا ليتك يا سيدي ـ
بالنسبة اليك ـ لم تشاركه
القيادة ، فكنت إما

ترئس العملية بمفردك ، أو
تتركها له وحده .

أوفديوس : أفهمك حسناً .
عندما يقدّم لنا حسابه ، ثق أنه لن يعلم
ما الذي بوسعي اتهامه به . فالذي يبدو ،
والذي يظنه ـ وهو أمر تراه ايضاً
أعين العوام ـ هو أنه يحسن التصرف في كل شيء ،
ويبدي ادارة طيّبة للحكومة الفولسية ،
ويقاتل كالتنين ، ولا يجرّد السيف إلاّ
وينجز . غير أنه قد أهمل
أمراً سيدق عنقه أو يجازف بعنقي
عندما تزفّ ساعة حسابنا .

مـــلازم : سيدي ، ارجوك ، اتعتقد أنه سيقهر روما ؟

أوفديوس : الأماكن كلها تستسلم له قبل ان يبدأ حصارها .
ووجوه القوم في روما ملك يديه .
والشيوخ والأشراف يحبونه كذلك .
التريبونات ليسوا جنوداً ، أما شعبهم
فسوف يستعجل الالغاء ، بقدر ما استعجل
طرده من المدينة . يخيّل اليَّ انه سيكون لروما
كنسر البحر* للأسماك ، يأخذها
بسؤدد الطبيعة . كان أول الأمر
خادماً نبيلاً لهم ، غير أنه لم يستطع
الحفاظ على اتزان منصبه . فسواء أكانت الكبرياء ،
وهي اللوثة التي تفسد كل يوم
حظ الرجل السعيد ، أم خطل في الادراك ،
يسبّب عجزه من التمكّن من تلك الظروف التي

(*) انتشرت في عهد شكسبير خرافة عن طير مزعوم اسمه « نسر البحر » (Osprey) تقول انه يسحر الاسماك بطيرانه فوقها ، فتنقلب على ظهرها وتسلم له نفسها لقمة سائغة .

كان هو سيدها ، أم طبيعته
في ألا يكون إلا شيئاً واحداً ، فلا يتبدل
في انتقاله من الخوذة الى العرش ، فيقود السلام
بذلك الاسلوب الصارم الذي به
تحكّم بالحرب ، ولكن احدى هذه ـ
فإن فيه لمحة من كل منها ، ولكن ليس كلّها ،
وإني لأبرّئه بهذا المقدار ـ جعلته يُهاب ،
وبالتالي يُبْغَض ، وبالتالي يُنْفَى : غير أن له مزيّة*
تقضي على علّته وهي بعد قيد الكلام . وهكذا ، فإن فضائلنا
انما تكمن في تأويل زماننا لها ،
والقوة ، مهما تكن حميدة لنفسها ،
لا قبر لها أوضع من كرسيّ
يتغنى بمدحها** النار تطرد بالنار ، والمسمار بالمسمار .
الحقوق تسقطها الحقوق ، والقُوىٰ بالقُوىٰ تندحر .
هيّا ، لننصرف . ايه كايوس ، حين تقع روما بين يديك ،
تضحي أفقر الجميع أنت ، واذا بك واقع بين يديّ !

(يخرجان)

(*) يقصد شجاعته .

(**) الأبيات السابقة في الأصل مضطربة . ومعناها المجمل هو أن سمعتنا بالفضائل رهن بمعاصرينا . والقوة ، مهما اطمأنت الى مزاياها ، فإن طريقها الواضح الى الدمار هو أن تتباهى بهذه المزايا .

الفصـــل الخـــامس

المشهـــد الأول

ساحة عامة في روما

(يدخل منينيوس، وكومنيوس، وسسنيوس، وبروتس، وآخرون)

منينيــوس : لا ، لن أذهب . لقد سمعتم ما قاله
عن هذا الذي كان يوماً قائده ، وكان يحبّه
حباً شخصيّاً حميماً . دعاني بأبيه ،
ثم ماذا ؟ اذهبوا اليه انتم الذين نفيتموه .
وعلى بعد ميل من خيمته ، خرّوا على الركب وازحفوا
زحفاً الى رحمته . لا ! إن كان يأنف
أن يصغي الى كومنيوس ، فخير لي أن أبقى ببيتي .

كومنيــوس : بدا كأنه لا يعرفني .

منينيــوس : اتسمعون ؟

كومنيــوس : ولكنه سمّاني باسمي مرة :
فحلّفته بقديم صحبتنا ، والقطرات التي
نزفناها معاً . رفض الاستجابة
لاسم كريولانس ، ومنع الاسماء كلها .
لكأنه لا شيء ، وبلا لقب ،
الى أن يصوغ لنفسه اسماً من النار التي
ستحرق روما .

منينيــوس : أي نعم ، لقد أبدعتما صنعاً !

تريبونان اثنان ، كدحا من أجل روما
ليرخصا ثمن الفحم ، ذكرى رائعة !

كومنيوس: ذكّرته أن من شيم الملوك ان يعفوا
حين لا يتوقع العفو منهم أحد . فأجاب
ان ذلك مجرّد التماس تتقدم به دولة
لرجل انزلت به العقاب .

مننيوس : طبعاً ، وهل له ان يقول أقلّ من ذلك ؟

كومنيوس : حاولت أن أوقظ مشاعره
تجاه اصدقائه المقربين . فكان جوابه لي
انه لا يستطيع التريث لالتقاطهم من كومة
من العُصاف العَفِن النتن ، وقال ان من الحماقة
ألّا تحرق النفايا من أجل حبة هزيلة أو حبتين ،
ويبقى النتن في الأنف .

مننيوس : من أجل حبّة هزيلة أو حبتين !
أنا احداهما . أمه ، زوجته ، طفله ،
هذا الرجل الكريم أيضاً ، نحن حبّات القمح ،
وأنتم العصاف العفن . ورائحتكم
بلغت حتى القمر : فعلينا أن نُحْرَقَ من أجلكم .

سسنيوس : صبراً ، أرجوك ، صبراً . ان كنت ترفض العون
في ساعة المحنة هذه ، لا توبّخنا
بما نحن فيه من بليّة . ولكن تأكد .
ان انت رضيت ان تلتمس من أجل بلدك ، فإن لسانك الطيّب
قد يوقف ابن بلدنا هذا
اكثر مما يستطيع الجيش الذي نجنده على عجل .

مننيوس : لا ، لن أتدخل .

سسنيوس : أرجوك ، اذهب اليه .
مننيوس : وماذا أفعل ؟

بروتـــس : جرّب فقط ما الذي يستطيع حبك فعله
من أجل روما ، لدى مارسيوس .

منـنيــوس : حسناً ، ثم أقول ان مارسيوس
ردّني ، كما ردّ كومنيوس ،
دون أن يسمعني . ثم ماذا ؟
ولكن كصديق ساخط ، هذّه الأسى
لجفوته ؟ هب أن ذاك ما حدث ؟

سسنيـوس : إلّا أن طيب نيتك
سيلقى الشكر من روما ، بعد أن فعلت ذلك
بأحسن قصد .

منـنيــوس : سأقوم بالمهمة .
أظن انه سيسمعني . ولكن ما زال يثبّط همتي
أنه عضّ شفته ودمدم لكومنيوس الكريم .
لم تكن ساعة لقائه مواتية : لم يكن قد أكل .
فاذا لم تمتلىء العروق ، كان دمناً بارداً ، وعندئذٍ
نزمّ بالشفاه تجاه الصباح ، ولا ننزع
الى العطاء أو الغفران . ولكن عندما نحشو
انابيب دمنا وقنواته هذه
بالخمر والمأكل ، نكون أمرن أرواحاً
منّا في صيامنا الكهنوتي . ولذا فإني سأرقبه
الى أن يكون قد تناول ما أريده له من طعام
ثم أتناوشه .

بروتـــس : انك أدرى بالطريق الى كرمه ،
ولن تضلّ طريقك .

منـنيــوس : سأجرّبه ، وايم الحق ،
كيفما سار الأمر . ولن يطول بي الوقت لأعرف
هل نجحت .
(يخرج)

كومنيـوس : لن يصغي اليه أبداً .

سسنيـوس : أبداً ؟

كومنيـوس : أقول لك ، انه جالس في الذهب ، وعينه
حمراء كأنها تطلب احراق روما ، وقد غدا أذاه
سجّان شفقته . لقد ركعت أمامه
ولم يقل « انهض » إلا بأخفت الصوت ، وصرفني
هكذا ، بيده الصامتة : ثم أرسل
اليّ ، تحريراً فيما بعد ، ان ما سيفعله ولا يفعله ،
رهن بيمينه بأن يسلّم لشروطه* :
ولذا فلا جدوى من الأمل ،
إلا من أمه النبيلة وزوجته ،
اللتين سمعتُ انهما تنويان ان تضرعا اليه
ليرأف ببلده . فلننصرف اذن ،
وبأجمل الترجّي نحثهما على الاسراع .

(يخرجون)

(*) الاسطر الثلاثة الأخيرة مضطربة في النص الأصلي ، ومتناقضة المعنى ، لأن بعض الكلمات قد تحرّف في الطبعة الأولى من « الفوليو » . ثمة اجتهادات « لتصحيحها » غير ان استقامة المعنى تستوجب تبديل بعض الكلمات . وقد آثرنا أن نترجم النص كما هو ، على اضطرابه .

المشهـــد الثـــانـــي

مدخل معسكر الفولسيين أمام روما، يحرسه حارسان

(يدخل عليهما منينيوس)

حارس اول : قف ، من أنت ؟

حارس ثان : قف ، وارجع .

منينيـــوس : انكما تحرسان كالرجال . حسنا تفعلان . ولكن اسمحا لي ،
فإني من مسؤولي الدولة ، جئت
لأخاطب كريولانس .

حارس أول : من أين ؟

منينيـــوس : من روما .

حارس اول : ممنوع المرور ، وعليك ان تعود . فقائدنا
لن يسمع المزيد من هناك .

حارس ثان : سترى مدينتك روما تعانقها النار
قبل ان تخاطب كريولانس .

منينيـــوس : ايها الصديقان الكريمان ،
ان كنتما سمعتما قائدكما يتحدث عن روما
وعن أصدقائه فيها ، فإني أراهن
أن اسمي قد مسّ آذانكما : انه منينيوس .

حارس اول : وليكن . ارجع . فكرامة اسمك
لا تشق طريقاً هنا .

منيـــوس : أقول لك يا غلام
ان قائدك حبيبي : لقد كنت دوماً
كتاب مآتيه الحميدة ، يقرأ الناس فيه
عن شهرته التي لا تضاهَىٰ ، ومكبّرةً أحياناً ،
لأنني دوماً أسند أصدقائي ،
وهو كبيرهم ، لأقصى حدود الصدق ،
حتى يكاد الصدق يضطرب فيهم . بل انني احياناً
أشبه بكرة تقذف على ارض مائلة
أتعدّى الهدف ، وفي مدحي اياه
أكاد أختم على ما زعمت . ولذا ، يا غلام ،
يجب ان تسمح لي بالمرور .

حارس اول : ثق سيدي ، انك لو قلت من الأكاذيب عنه بعدد ما نطقت من كلمات عن نفسك ، فإنك لن تمر هنا. لا ، حتى ولو كان الفجور بفضيلة العفّة . ولذلك ، ارجع

منيـــوس : أرجوك يا غلام أن تتذكّر أن اسمي منيوس ، ومن المتحزبين دائماً لقائدك .

حارس ثان : مهما تكن من كاذبيه ، كما تقول ، فإنني مأموره بالصدق ، وعليّ أن أقول لك : لا تستطيع المرور ، ولذلك ، إرجع !

منيـــوس : هل تعلم ان كان قد تناول عشاءه ؟ لأنني لن أخاطبه إلا بعد العشاء .

حارس أول : أنت روماني ، ألست كذلك ؟

منيـــوس : نعم ، كقائدك .

حارس أول : اذن عليك ان تمقت روما ، مثله . ان كنتم قد دفعتم بحامي ابوابكم إلى خارجها ، وفي جهل شعبي عنيف سلمتم ترسكم لعدوكم ، هل تحسبون ان بوسعكم مجابهة انتقاماته بالانات البسيرة من عجائزكم ، والأكفّ العذراء من بناتكم ، أو بشفاعة مشلولة من خرف متهرّىء مثلك ؟ اتحسب أن بوسعك أن تطفىء النار المنوية لمدينتكم المهيأة للاحتراق بها بنَفَسٍ واهن كهذا ؟ لا ، إنك مخدوع . ولذا ، عد الى روما ، وتهيأوا لاعدامكم : لقد

أدِنْتم ، وقائدنا قد أقسم أنه لن يغيّر حكمه عليكم ولن يعفو عنكم .

منينيـــوس : يا رجـل ، لو علم رئيسك بوجودي هنا ، لعاملني بالتقدير والحُسنى .

حارس ثان : هيا ، فإن رئيسي لا يعرفك .

منينيـــوس : اقصد قائدك .

حارس أول : قائدي لا يهمّه امرك . ارجع ، اقول لك ، اذهب . وإلاّ سكبت كوب دمك . ارجع ـ هذا!أقصى ما ستنال : ارجع .

(يدخل كريولانس وأوفديوس)

كريولانـس : ما الأمر ؟

منينيـــوس : والآن ، ايها الرفيق ، سأتوسط أنا لك ، ولسوف تعلم انني محل تقدير ، وتدرك أن مجرد غلام حارس لن يحجبني بوظيفته عن ابني كريولانس . وتأمل ، باستقباله لي ، كيف انك ستكون أهلاً للشنق ، أو لميتة أطول مشاهدة ، وأقسى معاناة . انظر الآن ، حالاً ، وسيغمى عليك لما سوف يصيبك . (لكريولانس) ألا اجتمعت الآلهة كل ساعة لتوفيقك ، وأحبّتك حباً لا يقل عن حب الشيخ ابيك منينيوس لك ! آه يا بنيّ ، يا بنيّ ! انك تعدّ لنا النار . انظر ، هنا ماء لاطفائها . ما دفعت للمجيء اليك إلاّ بصعوبة . ولكن إذ تيقّنت ألاّ أحد يستطيع التأثير فيك سواي ، فقد حملتني التنهدات الى خارج أبوابك ، وإني لاستحلفك ان تعفو عن روما ، وعن مواطنيك الضارعين اليك . أطفأت الآلهة الكريمة نار سخطك ، وصبت الحثالة على هذا النذل الحقير هنا ، هذا الذي كالخشبة الصماء رفض ان يصل بي اليك .

كريولانـس : انصرف !

منينيـــوس : نعم ؟ انصرف ؟

كريولانـس : اني لا أعرف زوجة ، ولا أماً ، ولا ولداً . وشؤوني
هي في خدمة الآخرين . ولئن يكن حقي
في انتقامي ملك يدي ، فإن التنفيذ
رهن بصدور الفولسيين . أما كوننا متعارفين
فإن عقوق الناسين يسمعه ، اكثر مما

يهم الشفقة ان تعرف مداه . ولذا ، فاذهب .
ان اذنيّ إزاء توسلاتك أصلب
من ابوابكم إزاء قوتي . ولكن ، لأنني كنت أحبك
خذ هذه معك (يسلمه رسالة) . لقد كتبتها من أجلك
وكنت سأرسلها . أما كلمةً اخرى منك ، يا منيوس ،
فلن أسمع . هذا الرجل ، يا اوفديوس ،
كان حبيبي في روما . أفترى ؟

افديوس : إنك ثابت في عزمك .

(يخرج كريولانس وأوفديوس)

حارس اول : والآن يا سيدي ، هل اسمك مننيوس ؟

حارس ثان : أترى؟انه رقية عظيمة المفعول ! اتعرف الطريق الى بيتك ثانية ؟

حارس اول : اسمعت الزجر الذي لقيناه لأننا منعنا عظمتك من الدخول ؟

حارس ثـانٍ : هل من سبب ، في رأيك ، لاغمائي الآن ؟

مننيـــوس : لا يهمني شيء من أمر الدنيا ، ولا من أمر قائدكم أما المخلوقات التي مثلكما ، فإني أكاد لا أقر بوجودها ، لتفاهتها . من له العزم على الموت بنفسه ، لن يخشاه من آخر . فليفعل قائدكم أسوأ ما بوسعه . أما انتما ، فلتطل بكما الحياة ، وليشتد بكما الشقاء مع طول العمر ! ولكما أقول ، ما قيل لي : انصرفا !

(يخرج)

حارس أول : من كرام الناس ، ولا ريب .

حارس ثان : انما الرجل الفاضل قائدنا . انه الصخرة ، انه السنديانة التي لا تهزّها الريح .

(يخرجان)

المشهد الثالث

خيمة كريولانس

(يدخل كريولانس وأوفديوس وآخرون)

كريولانس : أمام أسوار روما ، غداً ،
سنضع جيشنا . فيا شريكي في هذا العمل
ينبغي أن تخبر السادة الفولسيين بمدى صراحتي
في القيام بهذه المهمة .

أوفديوس : ما التزمت إلاّ بأهدافهم .
سددت أذنيك عن
التماس جميع من في روما ، ولم ترض
بهمسة خاصة ، لا ، حتى من أصدقاء لك
كانوا يحسبون انهم واثقون منك .

كريولانس : هذا الشيخ الأخير
الذي ارسلته اليّ روما بقلب مصدوع ،
كان يحبني حبّاً يربو على حب الوالد لابنه ،
بل انه كان ، في الواقع ، يؤلهني . وكان آخر ملجأ لهم
ان يرسلوه إليّ ، ومن اجل حبه القديم ،
وان بدوت عابساً له ، قدمت ثانية
الشروط الأولى التي رفضوها أصلاً ،
ولن يسعهم قبولها الآن . وكيما أكرمه فقط .

هذا الذي حسب انه يقدر على المزيد ، سلّمته
شيئاً زهيداً جداً . وأية سفارات أو التماسات جديدة ،
من الدولة كانت أم من خواص الأصدقاء ،
فإنني بعد اليوم لن أعيرها أذناً صاغية .

(صراخ من الداخل)

ها ! ما هذا الصراخ ؟
هل سأغرى على الاخلال بعهدي
في الساعة التي قطعته فيها على نفسي ؟ أبداً !

(تدخل في ثياب الحداد فرجيليا، وفولومنيا، وهي تقتاد مارسيوس الصغير، وفاليريا، ومرافقات)

زوجتي تتقدم الجميع ، ثم صاحبة القالب المصون
الذي صيغ فيه جذعي هذا ، وبيدها
حفيد دمها . ولكن اليك عني أيها العطف !
وليتكسّر كل قيد وحق تفرضه الطبيعة !
وليكن العناد فضيلة .
ما قيمة تلك الانحناءة ؟ أو أعين الحمام تلك ،
التي بوسعها أن تجعل الآلهة تحنث في يمينها ؟ اني أذوب ،
وما أنا بتراب أصلب من الآخرين . أمي تنحني !
كأنما جبل الأولمب ينحني ضارعاً
لكومة تراب صغيرة ، وابني الحدث
يتشفع بوجه تصرخ له
الطبيعة العظيمة « لا تردّه ! » دع الفولسيين
يحرقون روما ، ويعذبون ايطاليا . لن أكون أبداً
فرخ أوزة ينصاع للغريزة ، بل سأقف
كأن الأنسان هو صانع نفسه ،
ولم يعرف قط قربىٰ دمٍ بأحد .

فرجيليـــا : سيدي وزوجي !

كريولانس : ما هاتان بالعينين اللتين كانتا لي في روما .

فرجيليـا : ان الحزن الذي يأتي بنا وقد تغيّرنا
هو ما يجعلك تظن ذلك .

كريولانـس : أشْبَهَ بممثلٍ بليد
نسيت الآن دوري ، وجعلت أخطىء ،
وزرايتي تامة . يا خيرَ جسدي ،
اغفري استبدادي ، ولكن لا تقولي ،
تبعاً لذلك ، « اغفر للرومان ذَوينا » . آه ، قبلةً
طويلةً كنفيي ، عذبةً كانتقامي !
والآن قسماً بملكة السماء الغيرىٰ الغضوب* ، تلك القبلة
حملتها منك ، يا عزيزتي ، وبقيت شفتي الوفية
عذراء منذ الساعة تلك . يا آلهة ! إني اثرثر
وأدع أنبل أمّ في الدنيا
دونما تحية . غوري ، يا ركبتي ، في الأرض
(يركع)
وأبدي أثراً لعميق واجبك أكبر مما
يبديه عامة الأبناء .

فولومنيـا : انهض مباركاً ! (تنهضه)
فيما أركع أنا أمـك على وساد
ليس انعم من الصوّان ، وأبدي الواجب
لا كما ينبغي ، اذ أخطأنا الفهم طيلة هذا الوقت ،
بين الوالد والولد .

(تركع)

كريولانـس : ما هذا ؟
أتركعين ، لي ؟ لابنك المعاقب ؟
اذن فلتضرب حصى الشاطىء الجائعِ
النجومَ والكواكب ، ولتقذفْ متمرّداتُ الرياح

(*) أي جونو ، زوجة زيوس ، حامية الزواج ، والمنتقمة من أهل الخيانة الزوجية .

شوامخَ الأرز بوجه الشمس اللاهبة ،
قاتلةً كل مستحيل ، لتجعلَ
أمراً هيّناً من كل ما لا يمكن أن يقع .

فولومنيــا : انك محاربي :
انا كنت العون في صنعك . اتعرف هذه السيدة ؟

كريولانـس : انها النبيلة أخت بَبْليكولا* ،
بدر روما . عفيفة كقطرات الماء
التي يكثّفها الصقيع من أنقى الثلج
وتتدلّى من هيكل ديانا : العزيزة فاليريا !

فولومنيــا : وهذا خلاصة مسكينة لك ،
وعندما يتم له تأويل الزمن
قد يشبهك كل الشبه .

كريولانـس : (لابنه) أفعمَ افكارَك نُبلاً ربُّ الجنود
برضا من العليّ جوبيتر ! عسى أن تثبت
ان العار لا يدانيك ، وتصمد في الحروب
كمَعْلَمٍ بحري عظيم ، تقاوم الزوابع
وتنقذ كل من تقع عينه عليك !

فولومنيــا : على ركبتك يا ولد !

كريولانـس : ولدي الرائع !

فولومنيــا : هو ، وزوجتك ، وهذه السيدة ، وأنا ،
كلنا ضارعون لديك .

كريولانـس : أتوسل اليك ، ألا تتكلمي .
أو ، ان كنت ستصرّين ، ان تذكري هذا أولاً :
ان ما أقسمت ألاّ أهبه أحداً ، عليك ألاّ
تعتبرينه رفضاً لك أنت . لا تطلبي اليّ

(*) الغريب أن فاليريا ، رغم وجودها في هذا المشهد ، لم يعطها شكسبير كلمة واحدة تقولها . في « بلوتارك » نجد ان فاليريا هي التي تقترح على فولومنيا فكرة هذه الوساطة . غير أن شكسبير يركز اهتمامنا كله في فولومنيا وابنها .

أن أصرف جنودي ، أو أن أوقّع شروطاً
ثانية مع صنّاع روما . لا تخبريني
ما الذي أبدو فيه خارجاً على الطبيعة . ولا ترغبي
في تخفيف غضباتي ونقماتي
بحججك القريرة .

فولومنيـا : آه ، كفى ، كفى !
لقد قلت أنك لن تهبنا أي شيء .
فما لدينا أي شيء آخر نطلبه ، سوى
ما رفضته سابقاً . ومع ذلك ، فسنطلب .
فإن خذلتنا فيما نطلب ، وقع اللوم
على قسوتك . ولذلك ، اسمعنا .

كريولانـس : اوفديوس ، وانتم يا فولسيون ، انتبهوا .
لأننا لن نسمع شيئاً من روما في خلوة عنكم .
(لأمه)مطلبكن ؟

فولومنيـا : لو سكتنا ولم ننطق ، لكان في ثيابنا
وحالتنا الجسدية ما يفصح عن الحياة التي
عشناها منذ نفيك . قدّر لنفسك
كيف أننا أشقى نساء الأرض كلهن
اذ جئنا هنا : لأن مرآك الذي يجب
أن يُقرّ عيوننا فرحاً ، ويُرقص قلوبنا سلوى ،
يرغمها على البكاء والوجيب هلعاً وحزناً ،
جاعلاً الأمّ والزوجة والولد يرون
الابن والزوج والأب يبقر
أحشاء بلده . ولنا نحن المساكين
عِداؤك رهيبُ الضراوة ، فأنت تحجب عنا
الصلاة للآلهة ، وهي سلوى
يتمتع بها الجميع إلاّنا . وأنى لنا ،
وأسفاه ، أنّى لنا أن نصلّي من أجل ديارنا ،

ونحن بها مرتبطون ، ومن اجل انتصارك ايضاً ،
ونحن بك مرتبطون ؟ واحرّ قلباه ! إمّا أن نفقد
ديارنا ، مطعمتنا العزيزة ، أو شخصَك انت ،
عزاءنا في ديارنا . لن نلقى إلا
البلاء الأكيد ، حتى لوِ أعطينا
أمانينا ، سواء أكان الظفر لهذا الجانب أو ذاك .
فإمّا أن تُقاد كخائن مع الأجنبي
مغلولاً في شوارعنا ، أو أن
تطأ منتصراً خرائبَ موطنك
وتحملَ سعفة النصر لأنك ببسالة سفكتَ
دم زوجتك وأطفالك . أما أنا يا بنيّ ،
فلا أريد ترقب المصير حتى
تنتهي هذه الحروب : ان أنا عجزت عن اقناعك
بإظهار الحِلْم النبيل لكلا الفريقين ،
عوضاً عن طلب النهاية لأحدهما ، فإنك حالما
تزحف للهجوم على بلدك لسوف تدوس
(ولكن اثق انك لن تفعل ذلك) على رحم امك
التي انجبتك في هذه الدنيا .

فرجيليـــا : أجل ، ورحمي أنا ،
التي انجبت هذا الصبي ، لحفظ اسمك
حيّاً على مرّ الزمن .

الصبــي مارسيوس : لن يدوس عليّ أنا
سأهرب الى ان اكبر ، ثم أقاتل .

كريولانس : من أراد ألا يكون في رقة امرأة ،
وجب عليه ألا يرى وجه طفل أو امرأة .
لقد أطلت الجلوس .

(ينهض)

فولومنيــا : لا ، لا تذهب عنّا هكذا .

لو أن مطلبنا فحواه
انقاذ الرومان ، وبالتالي تدمير
الفولسيين الذين تخدمهم ، لحقّ لك شجبنا
كلوثة لشرفك . كلّا . ان التماسنا
هو أن توفّق بينهما . فبينما قد يقول
الفولسيون « هذه الرحمة أبديناها » ، يقول
الرومان « هذه تلقيناها » ، فيتجه لك الجميع
من كلا الجانبين بالتحية ، ويصيحون « بوركت
لامجادك هذا السلام ! » انت تدري يا بنيّ
ان نهاية الحرب مشكوك فيها ، ولكن هذا لا شك فيه ،
وهو ان انت فتحت روما ، فالفائدة التي
ستجنيها لن تكون إلا اسماً
يُردَّد ويُلْحَق باللعنات ،
سُطِّر تاريخه هكذا : « كان الرجل نبيلاً ،
ولكنه محا نبله بفعلته الأخيرة ،
ودمّر بلده ، وبقي اسمه
بغيضاً للأزمان اللاحقة » . حدثني يا بني :
لقد احببتَ دوماً دقائق الشرف
واقتديتَ بمروءات الآلهة :
فتمزق بالرعد خدود الفضاء العريض ،
ولكن تُحَمِّل كبريتك نصلاً
لا يشقّ إلا مجرّد سنديانة* . لم لا تتكلم ؟
أتحسب أن شرف المرء النبيل يقتضي
أن يذكر الأخطاء دائماً ؟ تكلمي انت ، يا ابنتي .
بكاؤك لا يهمه . تكلم انت ، يا ولد .
لعل طفولتك تفعل فيه .
اكثر من حججنا . ما عرفت رجلاً في الدنيا .
اوثق ارتباطاً بأمه ، ورغم ذلك فإنه يدعني أثرثر

(*) اي مثل جوبيتر ، رب الرعود .

كمن وضع في الدَّهق* . قطّ في حياتك
لم تُظهر لأمك العزيزة أية مجاملة .
في حين أنها ، هذه الدجاجة المسكينة ، اذ زهدت في فرخٍ ثان ،
كانت تَقْرق رعاية لك ذاهباً الى الحروب ، وعائداً منها بالسلامة ،
محمّلاً بالمجد . قل ان مطلبي غير عادل ،
وازجرني عنك . ولكن اذا لم يكن كذلك ،
فإنك غير صادق ، ولسوف تعذّبك الآلهة
لأنك تحجب عني الواجب الذي
ينتمي الى دور كل أم . انه يشيح بوجهه .
اركعن يا سيدات ، لنخجلْه بُرُكَبِنا .
الى لقبه كريولانس تنتمي الكبرياءُ
اكثرَ مما تنتمي الرحمةُ الى توسلاتنا . إركعن . ختاماً .
هذه المرة الأخيرة ومن ثم نعود الى بيتنا في روما ،
ونموت بين جيراننا . ولكن انظر الينا .
هذا الولد الذي لا يعرف ماذا يريد .
وإنما يركع ويرفع يديه أسوة بنا ،
يمنطق طلبنا بقوة أعظم
من قوة حجتك في رفضه . هلموا ، لننصرف .
هذا الرجل كانت أمه فولسية
وزوجته تقيم في كريولي ، ولعل ابنه
مثله . اسمح لنا بالعودة .
سأسكت حتى تلتهب مدينتنا ،
وعندئذٍ سأتكلم قليلاً .

(كريولانس يمسكها من يدها، صامتاً)

كريولانس : اماه ، اماه !
ما الذي فعلت ؟ انظري السماوات تنشقّ ،
والآلهة تطلّ ، وتضحك على هذا المشهد

(*) « الدهق » اقرب الكلمات في العربية الى آلة تعذيب من خشب فيها ثقوب تحبس فيها يدا المرء وقدماه ، وربما عنقه . فلا يستطيع إلا الشكوى .

المنافي للطبيعة ! آه يا أماه ، أماه !
لقد أحرزت نصراً سعيداً لروما .
أمّا ابنك ، فصدقيني ، صدقيني ،
ما حققت ما تبغين منه إلاّ لأعظم الخطر عليه ،
بل لما قد يُلقيه حتفه . ولكن ، ليَقْدِم .
أوفديوس ، لئن أعجز عن شن حروب حقيقية ،
فلسوف أصنع سلماً ملائماً . اوفديوس ، أيها الكريم ،
لو كنت مكاني ، هل كنت تصغي الى امك
أقلّ مما أصغيت ، أو تهبها أقل مما وهبت ؟ أوفديوس ؟

أوفديوس : لقد تأثرت .

كريولانس : اقسم أنك تأثرت .
ويا سيدي ، ليس بالأمر اليسير
ما يجعل عينيّ تتفصّدان رحمة . ولكن ، سيدي الفاضل ،
أخبرني ، أي سلم تريد تحقيقه . أما أنا
فلن أذهب الى روما ، بل أعود معك . وأرجوك ،
أن تساندني في هذه القضية . أماه ! زوجتي !

أوفديوس : (جانبياً) أفرحتني بأنك جعلت رحمتك وشرفك.
على طرفي نقيض فيك . ومن ذلك سأعيد
لنفسي سابق مكانتها .
(تومىء النساء لكريولانس)

كريولانس (للنساء :) أجل ، مهلاً ، مهلاً .
ولكن لنشرب معاً ، فتحملن معكن
شاهداً أفضل من الكلمات
سنختمه من ناحيتنا بشروط مماثلة .
تفضلن . وأدخلن . ايتها السيدات ، ليليقنّ
أن يُبنى لكنّ هيكل : فهذا السلام
ما كانت تستطيع تحقيقهَ سيوفُ ايطاليا كلُّها
ولا جيوشُها المتحدةُ بأجمعها .
(يخرجون)

المشهـــد الـــرابــع

ساحة عامة في رومـــا

(يدخل منينيوس وسسنيوس)

منينيـــوس : اترى ذلك الركن من الكابتول ، حجر الزاوية ذاك ؟

سسنيوس : وما شأنه ؟

منينيـــوس : ان امكنك ازاحته باصبعك الصغير ، فإن ثمة أملاً في أن سيدات روما ، وعلى الأخص أمه ، سيفلحن في اقناعه . ولكنني أقول : لا أمل البتة ، لقد حكم على اعناقنا ، وهي تنتظر التنفيذ .

سسنيوس : هل من الممكن ان وقتاً قصيراً كهذا بوسعه تغيير حالة المرء ؟

منينيـــوس : ثمة فرق بين الشرنقة والفراشة . ولكن الفراشة كانت شرنقة . ومارسيوس هذا قد تطور من انسان الى تنين : ان له اجنحة ، واكثر من زاحف واحد .

سسنيوس : كان يُعزّ أمه جداً .

منينيـــوس : ويُعزّني أنا أيضاً :ولكنه الآن لا يذكر أمه ،اكثر مما يذكر أمه حصان عمره ثماني سنوات . حموضة وجهة تحمّض انضج العنب . عندما يمشي ، فإنه يتحرك كآلة حربية ، فتقشعر الأرض تحت خطوه . باستطاعته ان يخرق درعاً بعينه . يتحدث كجرس الموتى ، وهمهمته هجوم . وهو يجلس على عرشه كأنه شيء يمثل الاسكندر . ما يأمر بصنعه ، يكفل فور أمره . ولا ينقصه عن الإله سوى الخلود ، وسماء يجعل عرشه فيها .

سسنيوس : أجل ، والرحمة ، ان كان وصفك له صادقاً .

منينـــوس : اني أرسمه كما هو في خلقه . انظر أية رحمة ستأتي بها أمه منه . ان يكن في النمر الفحل حليب ، فإن فيه رحمة . هذا ما سوف تجده مدينتنا المسكينة ، وكل ذلك بسببكم .

سسنيوس : حفظتنا الآلهة !

منينـــوس : لا ، في مثل هذه الحالة لن تحفظنا الآلهة . فعندما نفيناه ، لم نحترمها . واذ يعود ليدقّ أعناقنا ، فإنها لن تحترمنا .

(يدخل رسول)

رســـول : سيدي ، اذا اردت النجاة بحياتك ، أهرب الى بيتك .
لقد أمسكت الجماهير بالتريبون زميلك ،
وراحت ترفعه وتحطّه ، مقسمة
اذا لم تعد السّيدات الرومانيات بما يروّح عنها ،
فإنها ستذيقه الموت بالقيراط .
(يدخل رسول ثانٍ)

سسنيـوس : ما الخبر ؟

رسول ثانٍ : خبر سار ، خبر سار ! لقد وُفّقت السيدات ،
ورفع الفولسيون معسكرهم ، وذهب مارسيوس .
ما سعدت روما قط بيوم أمرح ،
حتى عندما طردت آل طاركوين .

سسنيـوس : أواثق أنت بصحة هذا ، يا صديق ؟ أواثق جداً ؟

رســـول : واثق ثقتي بأن الشمس نار لاهبة .
اين كنت قابعاً ، فتشكّ فيه ؟
ما دفق تيار زاخر خلال قنطرة جسر
كما دفق الأناس الفرحون خلال أبواب المدينة . اسمع !
(أبواق ، مزامير، طبول تدق، كلها معاً)
الأبواق ، المزامير ، السنطور ، الناي ،
الدفوف والصنوج ، وصيحات الرومان :
كلها تجعل الشمس ترقص . اسمع !

(صياح من الداخل)

منتيـــوس : هذا خبر سار .
سأذهب لاستقبال السيدات . فولومنيا هذه
تساوي من القناصل والشيوخ والأشراف
ملء مدينة بكاملها ، ومن امثالكم
ملء البحر والبرّ . لقد أحسنتم الصلاة اليوم :
فهذا الصباح ما كنـت لأشتري عشرة آلاف
من رقابكم بفلس واحد . اسمع كيف يهزجون !

(من الداخل، موسيقى مستمرة وصياح)

سسنيـوس : أولاً ، باركت الآلهة فيك لأنبائك ، وثانياً ،
تقبّل جزيل شكري .

رسول ثان : سيدي، لدينا كلنا
ما يدعونا الى جزيل الشكر .

سسنيـوس : هل اقتربن من المدينة ؟

رسول ثان : على وشك دخولها .

سسنيـوس : سنستقبلهن ، ونساهم في الفرح .

(يخرجون)

المشهــــد الخامــــس

شارع قرب باب المدينة في روما

(يدخل شيخان مع فولومنيا، وفرجيليا، وفاليريا، والأخريات ويمرّ الجميع عبر المسرح، يلحقهم الأشراف، وآخرون)

شيخ أول : اليكم نصيرتنا ، حياة روما !
ادعوا أحزابكم جميعاً ، احمدوا الآلهة ،
واشعلوا نيران الظفر . انثروا الزهور أمامهن .
أصمتوا الضجيج الذي نفى مارسيوس ،
وأعيدوه بترحيبكم بوالدته ،
وصيحوا: « مرحباً بالسيدات ، مرحباً ! »

الجميـــع : مرحباً بالسيدات ، مرحباً !

(صدح أبواق وقرع طبول)

المشهـــد الســـــادس

ساحة عامة في مدينة انتيوم

(يدخل تلوس أوفديوس، مع مرافقين)

أوفديـــوس : اذهبوا واخبروا سادة المدينة أنني هنا .
سلموهم هذه الورقة . واذا ما قرأوها
اطلبوا اليهم أن يذهبوا الى ساحة السوق ، حيث
سأشهد على صدقها في آذانهم
وآذان العوام جميعاً . اني أتهمه
بأنه قد دخل ابواب المدينة بهذه ،
ويقصد الى الظهور أمام الشعب ، مؤملاً
أن يطهّر نفسه بالكلمات . أسرعوا !
(يخرج المرافقون)
(يدخل ثلاثة متآمرين أو أربعة من حزب أوفديوس)
أهلاً بكم

متآمر أول : كيف الأمور مع قائدنا ؟

أوفديـــوس : إني أشبَهُ برجلٍ سمّمته صَدَقَتُهُ
ونَحَرَهُ إحسانُه .

متآمر ثانٍ : سيدي الأكرم ،
ان انت ما زلت على النية نفسها التي
أردت إشراكنا فيها ، انقذناك
من خطرك العظيم .

أوفديــوس : لست أدري يا سيدي .
علينا بالسير قُدُماً وفق ما نرى الشعب عليه .
متآمر ثالث : سيبقى الشعب في شك ما دام
الخلاف بينكما . غير أن سقوط اي منكما
سيجعل الآخر وارثاً لكل شيء .
اوفديــوس : أدري .
وحجتي في ضربه تتحمل
حسن التأويل . أنا أنهضته ، وأنا راهنت
بشرفي على وفائه . وحينما علا بذلك
راح يسقي نبتاته الجديدة بندى النفاق ،
غاوياً بذلك أصدقائي . ولغايته هذه
وضع من طبيعته ، وهي التي لم يعرف عنها سابقاً
سوى أنها فظّة ، جموحة ، طلقة .
متآمر ثالث : سيدي ، ان عجرفته
يوم رشّح نفسه للقنصلية ، التي فقدها
لعدم اتضاعه ..
أوفديــوس : ذاك ما كنت سأتكلم عنه .
وحين أبعدوه لذلك السبب ، جاء الى موقدي ،
وسلّم عنقه لسكّيني ، فأخذته ،
وجعلته شريكاً لي ، وفسحت له الطريق
في رغابه كلها . بل انني جعلته ينتقي
من بين جنودي ، تنفيذاً لمآربه ،
أفضل رجالي وأنضرهم . وخدمت خططه
بشخصي أنا ، وأعنته في ان يجني الشهرة
التي جعلها كلها لنفسه ، وفاخرت شيئاً
بأن أجحف في حق نفسي هكذا ، الى أن جعلت
في النهاية أبدو تابعاً ، لا شريكاً له ،
وأخذ يدفع لي اجري بمحيّاه ، كأنني
من المرتزقة .
متآمر أول : هذا ما فعله يا مولاي .

وقد دهش له الجيش ، وفي نهاية الأمر ،
وقد انتهى من أخذ روما ، وأحرزنا
ما توقعناه من غنائم لا تقلّ عن المجد

أوفديـــوس : هناك النقطة ،
حيث ستمتد عضلاتي عليه .
لقاء بضع قطرات مما تُجْرِيهِ أعينُ النساء ،
وهي بخسة كالأكاذيب ، باع كل ما في عملنا العظيم
من دم وعناء . ولذلك ، يجب أن يموت ،
وبسقوطه أجدد نفسي . ولكن ، أصغوا !

(أصوات طبول وأبواق، وصيحات عظيمة من الشعب)

متآمر أول : مدينتك ومسقط رأسك دخلتها أنت كساعي بريد ،
ولم يرحب بك أحد لعودتك . أما هو ، فيعود
والضوضاء تشق عنان السماء .

متآمر ثانٍ : والحمقى الصابرون
الذين قتل هو أطفالهم ، يمزقون حناجرهم
بتمجيده .

متآمر ثالث : ولذا ، ابتهل فرصتك ،
قبل أن يعبّر عن نفسه ، أو يؤثر في الناس
بما سيقوله ، ودعه يستشعر سيفك ،
فنعيد الكرّة نحن عليه . واذ يقع أرضاً
فإن الحكاية التي ستروبها على طريقتك ستدفن
حججه مع جسده .

أوفديـــوس : امسكوا عن الكلام .
السادة قادمون .

(يدخل سادة المدينة)

ســـــادة : نرحب بك أجمل الترحيب في مدينتك .

أوفديـوس : لا أستحق ذلك .
ولكن أيها السادة الكرام ، هل قرأتم بعناية
ما كتبت لكم ؟

ســـادة : نعم .

سيد أول : ويؤسفنا سماعه .
يخيّل اليّ أن الأخطاء التي ارتكبها ، قبل خطأه الأخير ،
ربما قوبلت بغرامات يسيرة . أما أن ينتهي
الى حيث كان عليه أن يبدأ ، ويهدر
فوائد الجيش الذي جندناه ، جازياً إيانا
بنفقاتنا ذاتها ، وعاقداً معاهدة حيث
ثمة استسلام، فإنه أمر لا عذر له فيه .

أوفديـــوس : هذا هو قادم . لسوف تسمعونه .

(يدخل كريولانس، في مسيرة عسكرية
مع الطبول والبيارق، ومعه جمهور من العوام)

كريولانس : سلاماً ايها السادة ! إني أعود جنديَّكم
لا يعدوني حبُّ بلدي اكثر
مما عداني يوم غادرتُه ، وما زلت مقيماً
رهنَ إمرتكم الجليلة . عليكم ان تعلموا
انني حاولت وأفلحت ،
وقدت حروبكم في خلال الدم حتى
أبواب روما . وما عدنا به من غنائم
يعادل اكثر من ثلث كامل
من نفقات العملية . لقد عقدنا سلماً
فيه من الشرف العظيم للأنتياتيين بقدر ما فيه
من عظيم العار للرومان . وها نحن هنا نسلم
ما اتفقنا عليه ، موقَّعاً من القناصل والأشراف
ومهوراً بختم الدولة .

أوفديـــوس : لا تقرأوه ، ايها السادة النبلاء !
بل قولوا للخائن ، إنه قد أساء استعمال
سلطاتكم ، لأقصى ما يكون السوء !

كريولانس : خائن ؟ ما هذا ؟

اوفديوس : أجل ، خائن ، يا مارسيوس !

كريولانس : مارسيوس !

أوفديوس : أجل ، مارسيوس ، كايوس مارسيوس : أفتحسب
أنني سأكرمك بتلك السرقة - بلقبك
كريولانس الذي نهبته في كريولي ؟
ايها السادة ويا رؤساء الدولة ، لقد خان
أمانتكم ومِلْؤه اللؤم ، ولقاءَ
بضع قطرات من الملح سلّم مدينتكم روما -
أقول « مدينتكم » - لزوجته وأمه ،
ناقضاً عهده وعزمه ،
كخيط من حرير متهرّىء ، رافضاً دوماً
شورى الحرب . غير أنه عند مرأى دمعِ مَن أرضعتْه
تأوه وزأر ملقياً عنه بانتصاركم ،
حتى أحمرّ الصبية خجلاً ، وراح ذوو المروءة
يتبادلون نظرات الدهشة والعجب .

كريولانس : أتسمع يا مارس ؟

أوفديوس : لا تذكر الإله ، يا صبي الدمع!

كريولانس : هـا !

أوفديوس : ليس إلّا !

كريولانس : يا كذاباً لا حدّ لكذبه ، جعلت قلبي أضخم
من أن يُحتوىٰ في صدري يا غلام ! يا عبد !
المغفرة ايها السادة . هذه أول مرة
أُضطر فيها الى الزجر والتعنيف . حكمكم ، سادتي الموقرين ،
يجب ان يكذّب هذا الجرو : وادراكه -
هذا الذي يلبس آثار ضرباتي مطبوعة فيه ،
والذي عليه تَحَمُّلُ ضربي حتى لحدِهِ - سيشارك
في قذف الفرية بوجهه .

سيد أول : صمتاً ، كليكما ، واسمعاني اتكلم .

كريولانس : قطّعوني ارباً ، ايها الفولسيون . ايها الرجال والفتيان ،

لطخوا شفراتكم جميعاً بي . يا غلام ! يا كلباً غير وفي !
ان كنت كتبت تاريخكم بصدق ، تجد فيه
أنني ، كالنسر في برج الحمام ،
هجت قومك الفولسيين في كريولي :
ووحدي فعلت ذلك . يا غلام !

اوفديوس : ماذا يا كرام ؟
اتريدون ان يذكّركم هذا المتبجّح الذميم
بحَظّه العشوائي الذي كان عاراً عليكم ،
أمام أعينكم وآذانكم ؟

كل المتآمرين : ليكن جزاؤه الموت !

كل الشعب : مزقوه ارباً! مزقوه الآن !
لقد قتل ولدي ! قتل ابنتي ! قتل ابن عمي
ماركوس ! قتل أبي !

سيد ثانٍ : صمتاً يا ناس ! لا تعدّي ! صمتاً !
هذا رجل كريم ، وان شهرته لتطّبق
آفاق كرة الأرض هذه . أما سيّئاته الأخيرة الينا
فسوف يحاكم عليها . قف يا أوفديوس ،
ولا تعكّر صفو السلام .

كريولانس : ليتني أقارعه ،
بستة مثله ، بل وأكثر ، بعشيرته كلها ،
واستعمل سيفي المشروع .

اوفديوس : ايها النذل الوقح !

كل المتآمرين : اقتلوه ، اقتلوه ، اقتلوه ، اقتلوه !

(اوفديوس والمتآمرون يشهرون سيوفهم ويقتلون كريولانس ويقف اوفديوس على جثته)

السادة : كفى ، كفى ، كفى ، كفى !

اوفديوس : سادتي الكرام ، اسمعوني اتكلم .

سيد أول : آه يا تلوس ..

سيد ثان : لقد فعلتَ فعلةً تبكي لها الشجاعة .

سيد ثالث : لا تدس عليه . أهدأوا يا سادة .
أغمدوا سيوفكم .
أوفديــوس : سادتي ، عندما تعلمون ـ ولكنكم في سخطكم هذا ،
وقد استفزّكم ، لا تعلمون ـ الخطرَ العظيم
الذي كانت حياةُ هذا الرجل تخبّئه لكم ، ستفرحون
لمصرعه هكذا . فإن شئتم سيادتكم
ان تدعوني الى مجلس شيوخكم ، سأبرهن
أنني خادمكم الوفيّ ، أو أتلقى
أشد انتقادكم .
سيد أول : احملوا جثمانه من هنا ،
واندبوه : وليبجّل
كأنبل رفاتٍ شيّعه النعاة
الى مثواه
سيد ثان : ان ضيق صدره
ليخفف معظم اللائمة عن أوفديوس .
فلنستفد من ذلك .
اوفديــوس : لقد زال غضبي ،
وأصابني الآن الأسى . ارفعوه
ثلاثة من رؤساء الجند ، ساعدوني ، سأكون واحداً منكم .
وأنت ، اقرع الطبل ، لينطقَ حزيناً راثياً .
اسحبوا رماحكم* . لئن يكن في هذه المدينة
قد رمّل وثكّل الكثيرات ،
فرُحْنَ يبكين احزانهن حتى هذه الساعة ،
فإنه سيقام له نصب نبيل** .
ساعدوني .
يخرجون ، حاملين جثمان كريولانس
ويعزف لحن مسيرة جنائزية .

(*) وذلك بأن تخفض قناة الرمح ، ويمسك من النصل .

(**) لا يكاد الفعل يقع حتى يندم عليه فاعله في الكثير من الجرائم في مسرحيات شكسبير . وقد كان لأوفديوس ما يبرر هذا الندم في ما حدث بعد ذلك للفولسيين . اذ يقول المؤرخ بلوتارك : « ان الرومان تغلبوا عليهم في المعركة ، فقتلوا أوفديوس ، وذبحوا زهرة قوات الفولسيين ، فاضطروا الى القبول بشروطٍ للسلم مشينة ، وسلموا أنفسهم كرعايا للفاتحين ، وتعهدوا بطاعة أوامرهم » .

الفهـــرست

الموضوع	الصفحة



مأساة

كريولانس

كان شكسبير في مسرحياته الرومانيّة يرى توازياً رمزياً بين أحداث الماضي والأحداث المعاصرة له ، بين مدينة كروما في القرن الخامس ق.م ، حيث تقع أحداث « مأساة كريولانس » هذه ، ومدينة كلندن في القرن السابع عشر ب . م . ، ويكاد يفسّر الواحدة بالأخرى .

ولم يكن هذا التوازي في مفهوم شكسبير ليقف عند ذلك الحدّ أو أي حدّ آخر من الزمن : إنه يبلغ ذلك المطلق الانساني الذي يتعدّى صيغ الزمان والمكان ، فتصبح المأساة وصراعاتها ، رغم خصوصيتها الظاهرية ، امثولة لكل زمان تنشأ فيه صراعات مثلها ، وتصبح روما اية مدينة أخرى في العالم .

هنا يكمن السرّ في روعة « كريولانس » ، وتصاعد الاهتمام بها في السنوات الأخيرة . إنها مسرحية اخرى « معاصرة » في معانيها ورموزها

ومرة أخرى يقدّم لنا هنا جبرا ابراهيم جبرا ترجمة تضجّ بالزخم الشكسبيري ، وتشمخ بدقتها ولغتها الغنية البارعة .

المؤسّسة العربيّة
للدراسات والنشر
بناية برج الكارلتون - ساقية الجنزير - ت ٨٠٧٩٠٠/١
برقياً موكيالي بيروت - ص.ب ٥٤٦٠/١١ بيروت

الثمن ١٦ ل.ل.